التنوير

تصدر عن مؤسسة رسالة السلام

مجلة شهرية تصدر عن مؤسسة رسالة السلام العالمية، موريتانيا، نواكشوط،
وتوزع في جميع أنحاء العالم. تصريح رقم ٢٠١٨/٢٠ - العدد الواحد والعشرون - مايو ٢٠٢٢

المدير الناشر

حي معاوية حسن

رئيس التحرير

د. أحمد الحافظ

المدير الفني

أحمد بلال

المحررون

د. شكري ميموني

د. محمد الرباني

م. عدنان الرفاعي

إسماعيل الرباني

العنوان

شارع المختار ولد داده - قرب فندق موريستانتر

ص ب 6664 - هاتف: 0022245240956

البريد الالكتروني: altenwir2020@gmail.com

كلمة التحرير

عزيزي القارئ الكريم في كل مكان حول العالم

من بين الأهداف التي تسعى مؤسسة رسالة السلام لترسيخها عبر هذه المطبوعة، تأسيس تيار تنويري بغية الوصول إلى القاعدة الشعبية العريضة، مع تجنب الدخول في صراعات مباشرة تعطل رسالة التنوير. وأن القرآن كتاب هداية منفتح على كل العصور والأزمنة، وهو رسالة تنوير لكافة البشر وليس خاصًا بقوم دون غيرهم.

كما تؤكد على أن الدين أتى لخدمة الإنسان مثل سائر العلوم والآداب والفنون، و لا يمتلك أحد من البشر سلطة التحدث نيابة عن الله. وان الاسلام دين للإنسانية جميعًا في تسليم وجوههم له ، كل بما أتاه الله من ضمير وحكمة وعقل.

وتستهدف هذه المجلة إبراز الجانب الإنساني والراقي الذي تم طمسه وإخفاؤه لصالح الطائفية والمذهبية. والتعامل مع المرويات الحديثة بواقعها التاريخي والنسبي، مع مراعاة التمييز بين السنة العملية المتوارثة عبر الأجيال وبين المرويات الحديثة. فضلا عن التعامل مع التراث بوصفه نتاجًا بشريًا يلزمنا بمراعاة واقع وظروف عصرنا.

أخيرا وليس آخرا.... نحرص على ضرورة أن تحظى مؤسسة رسالة السلام بقبول ومباركة أجهزة الدولة خاصة.

وإلى عدد مقبل بإذن الله

أسرة التحرير

اقرأ في هذا العدد

× القرآن بين التنزيل والتضليل

× أمسية رمضانية لـ«رسالة السلام» بجامعة الزقازيق

× باحثون ومفكرون يتحدثون عن كتاب «الطلاق يهدد أمن المجتمع»

× قراءة متأنية في كتاب «المسلمون بين الخطاب الدين والخطاب الإلهي»

نور على نور

القرآن الكريم بين التنزيل والتضليل

المفكر العربي الأستاذ
علي محمد الشرفاء الحمادي

التنزيل هو القرآن وهو كلام الله وآياته، أنزله الله على رسوله وكلَّفه بأن يقوم بتبليغه للناس، ويرشدهم إلى ما في آياته من منفعة لهم في الدنيا والآخرة، ويتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويرسم لهم خارطة طريق السعادة في الدنيا، ويحذرهم من الطرق التي تؤدي بهم إلى خسرانهم في الدنيا والآخرة رحمة من الله بخلقه.

فلا يجوز أن تُوضع آياته تحت الشكوك، حين لا يكون في قدرة الإنسان تقييمها على أساس موازين العقل والمنطق والفهم المتعمق لمقاصد الآيات، إذ لا يستطيع العقل البشري أن يقارنها بما جاءت به من تشريعات وقواعد تنظم علاقات المجتمعات على الرحمة والعدل بتشريعات وضعها الفقهاء بما استطاعت به قدراتهم المعرفية و العقلية والفكرية في استجلاء مقاصد الرسالة الإلهية للناس جميعًا.

كلام الله وآياته لا تتوازن معها الفلسفات الإنسانية

ولا تستطيع أية صِيغ لغوية أو فلسفات إنسانية أن تتوازن مع الآيات الإلهية من حيث الحكمة والفكرة والصياغة اللغوية ومقاصدها لخير الإنسانية فهي فوق قدرة تقييم الإنسان؛ حيث أنها لا تخضع للقوانين العقلية والاستنباطات الظرفية لكل عصر أو تكون تحت رحمة أفهام المفسرين وأحكامهم.

فكلمة الله ستظل هي العليا للمؤمنين مصدقين بها مطيعين لأوامر الله دون تردد أو ظنون أوشكوك، ولا تحتاج لضوابط تصحح مسارها ليصدقها الناس، ولا يملك العقل البشري أن يجاري رقي المعاني فيها

وسلامة وجهتها وخير مقاصدها للناس جميعًا، أو أن يصل إلى الحكمة الإلهية من بعض التشريعات فيها.

أما التضليل فهي الروايات التي استحدثها مؤلفوها وبعض الفقهاء وأحبار اليهود ومحرفوا رسالة الإسلام متعددة المصادر، فقد اختلط بالروايات الحابل بالنابل، حين أقر بصحة بعضها فئة من الباحثين والرواة والفقهاء، وكذَّب بعضها فئة أخرى من الفقهاء، وأصبح الهوى هو الميزان لصحة الرواية من عدمه، وبتفاوت الأزمنة وتعدد الأمزجة والأهواء والمصالح السياسية تراكمت آلاف الروايات، تلك التي يُطلق عليها أحاديث، بل إنهم نسبوها إلى الرسول زورًا وظلمًا وبهتانًا وافتراءً.

هذا وقد تعددت أنواعها باختلاف الأسانيد والأدلّة المزورة، وساهمت الإسرائيليات بدور كبير في إحداث خلل خطير في كثير من الروايات التي أدت إلى تفرُّق المسلمين وقتالهم، حيث تحمل كل الأحاديث في طياتها ومراميها ومقاصدها وتعددها، مضمونًا يؤدي إلى نشر الفتنة، وتضليل المسلمين عن مقاصد دين الإسلام لما ينفع الناس وما يدعو لصلاحهم.

حيث تصل تلك التي أطلقوا عليها الأحاديث إلى أكثر من واحد وأربعين حديثًا مقسمة إلى أقسام عديدة، تحمل كل منها اجتهاد ناقلي الروايات التي تم جمعها بعد أكثر من قرنين بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام من آلاف المسلمين وغيرهم مع تعدد أحكام الأحاديث وانتفاء صحتها بتعارضها مع آيات القرآن الكريم، وما يؤكد مضامينها هو انتفاء قيمتها وتأكُّد تزويرها وافتراءات الرواة على رسول الله.

وأمثلة على ما يطلق عليه الحديث ما يلي:

(١) الحديث الصحيح
(٢) الحديث الحسن
(٣) الحديث الضعيف
(٤) الحديث المُعلَّق
(٥) الحديث المنقطع
(٦) الحديث المُعضل
(٧) الحديث المُرسَل
(٨) حديث مرسل الصحابي
(٩) الحديث المُدلَّس
(١٠) الحديث الموضوع
(١١) الحديث المتروك
(١٢) الحديث المنكر
(١٣) الحديث المطروح
(١٤) الحديث المضعَّف
(١٥) الحديث المجهول
(١٦) الحديث المُدرج
(١٧) الحديث المقلوب
(١٨) الحديث المُضطرِب
(١٩) الحديث المصحَّف والمحرَّف
(٢٠) الحديث الشاذ
(٢١) الحديث المعلل
(٢٢) الحديث المرفوع
(٢٣) الحديث الموقوف
(٢٤) الحديث المقطوع
(٢٥) الحديث المتواتر
(٢٦) خبر الآحاد
(٢٧) الحديث المُسند
(٢٨) الحديث المتصل
(٢٩) الحديث المسلسل
(٣٠) الاعتبار
(٣١) حديث الفرد
(٣٢) الحديث المعنعن
(٣٣) الحديث المؤنن
(٣٤) الحديث المنقلب
(٣٥) الحديث العالي
(٣٦) الحديث النازل
(٣٧) الحديث الغريب
(٣٨) الحديث المبهم
(٣٩) الحديث المدبج
(٤٠) الناسخ والمنسوخ
(٤١) المؤتلف والمختلف

وبتلك الفِرية وأعمال التزوير على الرسول يتوه المسلمون أهل السنة والجماعة في أكثر من ٤١ حديثًا علاوة على روايات فِرق الشيعة وأسانيدهم، يشغلون جُل أوقاتهم في روايات أضرت أكثر مما نفعت، وفرَّقت أكثر مما وحَّدت، وشجعت على الظلم أكثر مما دعت إلى العدل، وزرعت في النفوس الكراهية والقسوة أكثر مما دعت إلى الرحمة، هذا وقد اعتبرها القرآن أحاديث مفتراة على الله ورسوله كما

الله سبحانه لم يكلف الرسول بغير ما أنزله الله عليه في قرآنٍ مبين ليبلّغ آياته للناس جميعًا، ولم يكلفه سبحانه بأمر آخر غير تلاوة آياته على الناس

جاء في قوله سبحانه: (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (يونس: ٦٩).

كما أن المذاهب الشيعية المختلفة أنشأت لها مرجعيات خاصة ومصادر للروايات والأحاديث لا تتفق مع مصادر السنة والجماعة، ومنها (كتاب الكافي) للشيخ أبي جعفر الكليني وفيه أكثر من (١٦١٩٩) حديث، ثم كتاب (من يحضره الفقيه) لأبي جعفر بن محمد القمي، وتضمَّن كتابه (٥٩٩٨) حديثًا، ثم كتاب (تعذيب الأحكام) لأبي جعفر محمد الطوسي وتضمنه (١٣٥٩٠) حديثًا، ثم كتاب (الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار) لأبي جعفر محمد الطوسي، ثم كتاب (الوافي) للشيخ محمد مرتضى الكاشاني والذي يضم (٥٠٠٠٠) حديثًا، يليه كتاب (تفصيل وسائل الشيعة) للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي يضم (٣٥٨٥٠) حديثًا، ثم كتاب (مستدرك الوسائل) للشيخ ميرزا حسين الطبرسي النوري ويضم (٢٣٠٠٠) حديثًا.

التجرؤ على اتباع الروايات

وعلى ما يبدو أن كلا الفريقين السنة والشيعة يعتمدون على نفس تقسيم الأحاديث من حيث السند والتسمية كما يلاحظه القارئ في تقسيم الأحاديث عند السنة والجماعة، وعندما توضع كل تلك الروايات والأحاديث لكلا الفريقين أمام حكم القرآن على الأحاديث؛ يعتبر حكمها مقارنة بالآيات هي والعدم سواء تأكيدًا لقوله سبحانه مخاطبًا رسوله الأمين في قوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ) (الجاثية: ٦)

فهنا يخاطب الله رسوله بخطاب استنكاري، كيف تجرَّأ الناس على اتّباع روايات سُميت بالأحاديث منسوبة بواسطة الصحابة للرسول الكريم؛ يؤمنون بها ويصدقونها ويقدسونها ويتركون آيات الله التي أنزلها سبحانه على رسوله الأمين ويهجرون تشريعاته وعظاته، وهو يدعوهم إلى سبل الخير والسلام ليخرجهم من الظلمات إلى النور، يحقق لهم الأمن والاستقرار ويبين لهم ما ينفعهم، ويضئ لهم الطريق المستقيم كما ورد في قوله سبحانه: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى (١٢٤) قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥) قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى ((طه-١٢٦)

ويقول سبحانه: (اللَّهُ نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) (الزمر: ٢٣).

ثم يقول عزّ وجلّ: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) (المرسلات: ٤٩-٥٠)،

ويقول سبحانه مؤكدًا أن كلام الله هو الحديث ولا غيره حديثًا: (..وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) (النساء: ٨٧)، كما قال سبحانه: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) (الكهف: ٦)، وقول الله سبحانه أيضًا: (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ

• التنزيل هو القرآن كلام الله وآياته، أنزله على رسوله وكلَّفه بتبليغه للناس، ويرشدهم إلى ما في آياته من منفعة لهم في الدنيا والآخرة

مُثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ) (الطور: ٣٤).

اللّه سبحانه يتحدى أصحاب الروايات

فاللّه سبحانه يتحدى أصحاب الروايات ومبتدعي الإسرائيليات بأن يأتوا بحديث مثل آيات اللّه وكلماته في قرآنه المبين، وعندما شُلَّت أفكارهم وتعطلت عقولهم وعجزوا أن يأتوا بما تحداهم به خالقهم؛ توجَّهوا بما سوَّلت لهم أنفسهم بتأليف روايات مزورة على الرسول وأساطير مُحرَّفة لرسالة الإسلام ثم يقول لهم سبحانه: (أفبهذا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ) (الواقعة: ٨١)،

ويتكرر الموقف الاستنكاري في قوله سبحانه: (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ) (النجم: ٥٩)، ثم يحذِّرهم سبحانه: (فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) (القلم: ٤٤-٤٥).

وتعني تلك الآيات المذكورة أعلاه تأكيدًا لما سبق بالتشديد بالأمر الإلهي القاطع بعدم اتّباع كل ما سُمي أحاديث جاءت بها روايات كاذبة مفتراة على الرسول الكريم، لأن اللّه سبحانه لم يكلف الرسول عليه الصلاة والسلام بغير ما أنزله اللّه عليه في قرآنٍ مبين ليبلّغ آياته للناس جميعًا، ولم يكلفه سبحانه بأمر آخر غير تلاوة آياته على الناس، وتبيان الحكمة من تشريعاته وتعريف الناس بمقاصد الخير وما ينفعهم في الحياة الدنيا والآخرة من

آياته، وتعليمهم شعائر العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج بيت اللّه والالتزام بآداب القرآن وأخلاقياته التي كونت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وطبَّقها في سلوكياته مع أهله وقومه ومجتمعه.

الخلاصة

القرآن على مدى أربعة عشر قرنًا لم يستطع المتآمرون أن يبدلوا من آياته أو يضيفوا عليه أو يضعوه تحت تحكيم العقل من حيث المصداقية أو يبينوا فيه ضعفًا في المقصد والمعنى والمبنى، لأن اللّه سبحانه تحدَّى الناس بقوله: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة: ٢٣)، كما تعهَّد اللّه بحفظه في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)

ولن تخضع آياته للشكوك والظنون مهما حاول المجرمون ولن ينجح أعداء الإسلام في محاولات الافتراء والتزوير واللّه سبحانه يتحداهم بقوله: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة: ٣٢)

أما الروايات التي أطلقوا عليها الأحاديث فهي أقوال بشرية وروايات إسرائيلية وأساطير مروية افتُريت على رسول اللّه وما يدل على تلك الافتراءات حين تصبح الأحاديث موزَّعة على (٤١) نوعًا صنعها وقسَّمها البشر، ونشرتها قوى خفيّة تستهدف النَّيل من القرآن وعزله عن المسلمين ليتوهوا بين الروايات حيث يقول سبحانه: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (الفرقان: ٣٠)

لقد التبس الأمر على الناس بين الفعل والقول، فسنة الرسول هي كل صفات الفضيلة التي وردت في القرآن الكريم والقيم النبيلة التي كانت هي سلوك

• التضليل هي الروايات التي استحدثها مؤلفوها وبعض الفقهاء وأحبار اليهود ومحرفوا رسالة الإسلام متعددة المصادر

سيرته بين الناس، لأن السنة عمل وليست أقوال أو روايات تأكيدًا لقوله سبحانه وتعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١)

والأسوة هي السيرة والمعاملة السلوكية تطبيقًا للآداب القرآنية والسنة الحقيقية والفعلية هي القدوة، والقدوة عمل فالله يريد لعباده أن يقتدوا بسلوك الرسول في أخلاقياته وتعامله مع كل الناس دون تمييز بالرحمة والعدل والإحسان والسلام- وغيرها من القيم السامية.

ونظرًا لتشويه السنة الفعلية وإطلاق مُسمى السنة على الروايات المفتراة على الرسول؛ حدثت الكوارث للمسلمين من تشرذم وتفرُّق واقتتال وتعدد المرجعيات وحلَّت البغضاء والكراهية بينهم بدلًا من المودة والرحمة، حدث ذلك في الماضي ويحدث اليوم،

فكم من دماء سالت؟

وكم من مدن دُمرت؟

وكم من نساء ترمَّلت بسبب تلك الروايات، وما أطلقوا عليها سنة مطهَّرة؟

واليوم تحدث تلك الجرائم باسم الإسلام من داعش والتكفيريين والإخوان والقاعدة وغيرهم من الذين يرفعون شعار الإسلام باسم الله اكبر، يقتلون الأبرياء ويدمرون المدن ويشردون الأطفال.

تشويه صورة رسالة الإسلام

هل ذلك ما يريده المسلمون لتشويه صورة الدين الإسلامي والإضرار بمكانة الرسول عليه الصلاة والسلام وتشويه سيرته العطرة، وتشويه صورة رسالة الإسلام التي تدعو للرحمة والإحسان والعدل؟

و لو أنهم اتبعوا سيرة الرسول وأفعاله وسلوكياته لما حدثت للمسلمين تلك الكوارث منذ أربعة عشر قرنًا إلى اليوم، ولكن أكثر المسلمين ما زالوا مُصرّين على أن الروايات المزورة والإسرائيليات والحكايات المنسوبة للرسول هي سنة الرسول يجب أن تُتبع وهي المرجعية الشرعية للمسلمين.

إضافة لذلك كان النبي محمد عليه الصلاة والسلام يتصف بأنه قرآنٌ يمشي تأكيدًا على تطبيقه كل الصفات النبيلة، وعناصر الفضيلة في سيرته وتعامله مع الناس، ولذلك وصفه الله سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤)، وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧)، فهل من يمارس تلك الصفات سيدعو الناس لقتل الأبرياء أو الاعتداء عليهم أو إقصاء من يخالف دينه أو عدم رد السلام على من يؤمن بدين آخر أو يعتدي على حقوق الناس أو يتكلم عنهم في غيبتهم أو يستولي على حقوقهم.

تلك الصفات التي وصفها الله لسلوك رسوله تفرّق بين المسلم المؤمن وبين المسلم الذي يهتم بالشعائر فقط فيصبح مسلمًا اسمًا ويهمل اتّباع الرسول في أخلاقياته ومعاملاته، والله سبحانه وصف المسلم بقوله: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت: ٣٣)

فارتبط القول بالعمل كماجاء في القرآن الكريم بأنه؛ تطبيق التشريعات والالتزام بالأخلاقيات في العلاقات الإنسانية وعمل الصالحات واتخاذ الرحمة مبدأ والعدل قاعدة والأخلاقيات سلوكًا وأداء العبادات وما تتطلبه من تأديتها في أوقاتها من صلوات وصوم وزكاة وحج بيت الله الحرام، وليس المسلم من صلى وحج فقط، والله ينبّه المسلمين من خطورة تجزئة أركان الدين بقوله سبحانه: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (البقرة: ١٥٩)

فعلى المسلمين أن لا يصدقوا كل

الروايات المنسوبة للرسول والمزورة من إسرائيليات وأساطير مكذوبة عليه، سيتحمل مسؤولية من نقلها أو روَّجها أو نشرها أو آمن بتلك الروايات ويكون مصيره جهنم وعذاب عظيم حيث يقول سبحانه: (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) (يونس: ٦٩) بأن علينا اتباع سيرة الرسول التي أمر الله المسلمين بأن يتبعوها في قوله سبحانه: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب: ٢١) والله يصف رسوله بقوله سبحانه: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) التوبة : ١٢٨) .

وكما دعى الرسول بقول الله سبحانه: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (- (آل عمران: ٣١)

• عندما توضع الروايات والأحاديث أمام حكم القرآن على الأحاديث؛ يعتبر حكمها مقارنة بالآيات هي والعدم سواء

رئيس قسم الإذاعة: «الاختيار» يكشف مأزق الخطاب الديني

أشادت رئيس قسم الإذاعة والتليفزيون الأسبق بكلية الإعلام جامعة القاهرة، د. منى الحديدي، بدور الدراما التي نشطت في الفترة الأخيرة في التطرق إلى بعض الموضوعات ذات الصلة بالأوضاع السياسية في البلاد، خاصة بعد أحداث ٢٥ يناير وثورة ٣٠ يونيو وبعد فترة حكم جماعة الإخوان الإرهابية للبلاد.

وقالت في تصريح خاص لـ«التنوير»، إن هذا شيء إيجابي لنشر الوعي وعرض الحقائق على عامة الناس، خاصة أن الدراما التليفزيونية من القوالب التي تحظى بمشاهدة عالية من أغلب الفئات.

وأضافت د. الحديدي أن مسلسل الاختيار جاء في مواسمه المتعددة، نموذجًا للدراما التليفزيونية التي تجمع ما بين الدراما والقالب التسجيلي. وأشارت إلى أنه يُمكن تسميتها الدراما التسجيلية، خاصة أنه في كثير من الأجزاء يعتمد على أحداث ومشاهد حقيقية ويتطرق إلى شخصيات موجودة في الواقع.

وأكدت د. الحديدي على أهمية أن تخضع مثل هذه الأعمال لمراجعة علمية، حتى لا يحدث تزييف أو مغالطات في الأحداث، لأن الحوار في الدراما يكون جزء مؤلف، لكن في الدراما التسجيلية يكون سرد لوقائع وأحداث وشخصيات موجودة.

وشددت على أنه لا بد من الاعتماد على المراجعة العلمية، حتى لا يكون هناك معلومات خاطئة في تقديم واقع مزيف.

× × ×

ندوة العدد

أمسية رمضانية لـ«رسالة السلام» بجامعة الزقازيق

ندوة القرآن بين التنزيل والتضليل

انطلقت يوم الثلاثاء ٥ أبريل ٢٠٢٢ ، ندوة «القرآن الكريم بين التنزيل والتضليل» التي نظمتها مؤسسة «رسالة السلام» للأبحاث والتنوير بالتعاون مع جامعة الزقازيق في احتفالية بمناسبة شهر رمضان المبارك، وذلك بحضور كوكبة من المفكرين والإعلاميين وأساتذة جامعة الزقازيق والشخصيات العامة.

بدأت الندوة بكلمة «مؤسسة رسالة السلام»، تلاها الأمين العام للمؤسسة أسامة إبراهيم، استهلها بالترحيب بالحضور من المفكرين وأساتذة الجامعات والطلاب والإعلاميين، مشيرًا إلى أن ندوة «القرآن الكريم بين التنزيل والتضليل تأتي ضمن فعاليات المؤسسة لعام ٢٠٢٢.

كلمة الأمين العام سلطت الضوء على دراسة قيمة للمفكر العربي الأستاذ علي محمد الشرفاء الحمادي، بعنوان «القرآن الكريم بين التنزيل والتضليل» والتي تأتي ضمن مؤلفات الأستاذ علي الشرفاء الصادرة عن «مؤسسة رسالة السلام» للأبحاث والتنوير»، منها: كتاب «المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الإلهي» و«رسالة السلام... رحمة وعدل وحرية وسلام» و«وثيقة الدخول في الإسلام»، والعديد من الإصدارات الأخرى.

وجاء في كلمة الأمين العام: التنزيل هو القرآن وهو كلام الله وآياته، أنزله الله على رسوله وكلَّفه بأن يبلغه للناس، ويرشدهم إلى ما في آياته من منفعة لهم في الدنيا والآخرة، ويتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويرسم لهم خارطة طريق السعادة في الدنيا، ويحذرهم من الطرق التي تؤدي بهم إلى خسرانهم في الدنيا والآخرة رحمة من الله بخلقه.

أوضح أن آيات الله التي أنزلها سبحانه على رسوله الأمين تدعو الناس إلى سبل الخير والسلام ليخرجهم من الظلمات إلى النور، يحقق لهم الأمن والاستقرار ويبين لهم ما ينفعهم. وتبيان الحكمة من تشريعاته وتعريف الناس بمقاصد الخير وما ينفعهم في الحياة الدنيا والآخرة من آياته، وتعليمهم شعائر العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج بيت الله والالتزام بآداب القرآن وأخلاقياته التي كونت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وطبَّقها في سلوكياته مع أهله وقومه ومجتمعه.

وبيَّن أنه على مدى أربعة عشر قرنًا لم يستطع المتآمرون أن يبدلوا من آيات القرآن أو يضيفوا عليه أو يضعوه تحت تحكيم العقل من حيث المصداقية أو يبينوا فيه ضعفًا في المقصد والمعنى والمبنى ولن تخضع آياته

• المشاركون في الندوة يؤكدون على أهمية أن تستمد المناهج التربوية والأخلاقية والدينية مرجعيتها من تعاليم ومبادئ القرآن الكريم

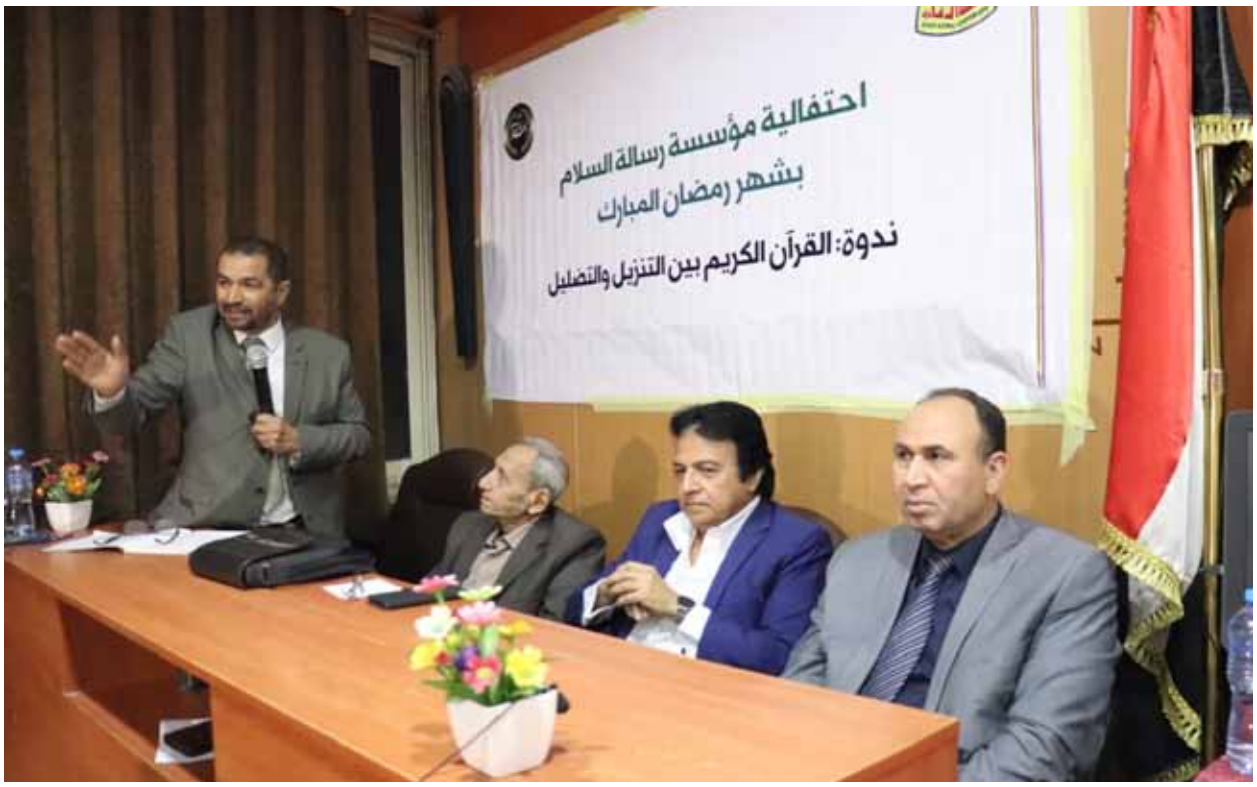

للشكوك والظنون مهما حاول المجرمون ولن ينجح أعداء الإسلام في محاولات الافتراء والتزوير.

أضاف: لقد كان الرسوال صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة، فالله تعالى يريد لعباده أن يقتدوا بسلوك الرسول في أخلاقياته وتعامله مع كل الناس دون تمييز بالرحمة والعدل والإحسان والسلام- وغيرها من القيم السامية. والدعوة للرحمة والإحسان والعدل؟ ولو أنهم اتبعوا سيرة الرسول وأفعاله وسلوكياته لما حدثت للمسلمين تلك الكوارث منذ أربعة عشر قرنًا إلى اليوم.

إضافة لذلك كان النبي محمد عليه الصلاة والسلام يتصف بأنه قرآنٌ يمشي تأكيدًا على تطبيقه كل الصفات النبيلة، وعناصر الفضيلة في سيرته وتعامله مع الناس. تلك الصفات التي وصفها الله لسلوك رسوله تفرّق بين المسلم المؤمن وبين المسلم الذي يهتم بالشعائر فقط فيصبح مسلمًا اسمًا ويهمل اتّباع الرسول في أخلاقياته ومعاملاته، فارتبط القول بالعمل كما جاء في القرآن الكريم بأنه؛ تطبيق التشريعات والالتزام بالأخلاقيات في العلاقات الإنسانية وعمل الصالحات واتخاذ الرحمة مبدأً والعدل قاعدةً والأخلاقيات سلوكًا وأداء العبادات وما تتطلبه من تأديتها في أوقاتها من صلوات وصوم وزكاة وحج بيت الله الحرام، وليس المسلم من صلى وحج فقط.

• المطالبة بتطهير خطاب التعليم الديني من المرويات والإسرائيليات التي تشوه صورة الإسلام وتفرض صورة منفرة للخطاب الديني

من هنا استغل أعداء الإسلام تلك الفرق الضالة التي اعتمدت عقيدتها على مرجعيات بعض فقهاء الزور والباطل ليوظفوهم في تدمير الدول العربية، وينشرون الرعب والفزع فيها ويقتلون الآلاف بدم بارد ويهدمون المدن والبيوت على أصحابها الآمنين، فأنشأوا فرق داعش والقاعدة والإخوان والتكفيريين للانتشار في الدول العربية يعيثون فيها فسادًا وقتلًا وتدميرًا ، فجاءوا إلينا اليوم وهم يحملون شعار رسالة الإسلام والتي تحمل معاني السلام والعدل والرحمة، وإذا بهم قد قدموا ليمارسوا إجراماً حرّمه الله على الناس جميعًا بقتل الأنفس البريئة، لم يراعوا حرمة النساء ولم يحترموا براءة الأطفال فاغتالت أيديهم المضرجة بالدماء الآباء والأمهات والأزواج والأطفال وزرعوا الرعب في قلوب الآمنين، وحصدوا الرؤوس دون رحمة أو وازع من ضمير أو أخلاق أو دين.

الإرهاب تحول في فكر هؤلاء إلى عقيدة راسخة في عقولهم بأن كل جريمة يرتكبونها ضد الإنسان، هي أمر إلهي ينال رضى الله ويجازيه بالجنة ويغفر له ذنوبه ويرضى عنه وفق عقيدتهم المستمدة من الروايات والإسرائيليات لتشجعهم على الاستمرار في طريق الشر والعدوان، وأن كل من لا يسير على دربهم ويعتنق عقيدتهم الباطلة فهو كافر مرتد يحق عليه العقاب بالقتل.

وفى عقيدة هؤلاء الإرهابيين أن

• كوكبة من المفكرين والإعلاميين وأساتذة جامعة الزقازيق والشخصيات العامة والطلاب شاركت في الأمسية الرمضانية

أكثر المسلمين في المجتمع كفرة إلا من يتبع مذهبهم وإمامهم، فكل عضو إرهابي في منظمة الإرهابيين عليه مسؤولية توقيع الحد الإلهي على المرتد والكافر والتكليف له بالتنفيذ، يكسبه قربًا من الله وفي الجنة تتلقفه الحور العين، تحقق له المتعة الأبدية والسعادة، حيث لا يجدها في حياته الدنيا، فيسعى إليها دون تردد بتفجير نفسه في الأبرياء وقتلهم ظلمًا وعدوانًا.

إنهم يعملون على تغييب تلك الآيات العظيمة التي تعبّر عن الحرية وأسلوب الدعوة الحضاري، وقاموا بنشر تلك السموم والافتراءات ليتخرج الشباب بعقول مشوشة وصورة مبتورة ومحرفة عن دعوة الإسلام والحق والسلام وما تدعو إليه من حرية العقيدة . ليتحولوا إلى هذا الفكر المجرم عديم الضمير والإنسانية وهو المسلَّح بالقسوة والكراهية، عدوًا للحياة وعدوًا لنفسه، الذي تخلّى عن رسالة الإسلام التي تدعو للرحمة والإحسان والعدل والسلام والتعاون.

لقد تمكّنت بعض الدول الاستعمارية ذات الاستراتيجيات الخبيثة والشيطانية بما تملكه من وسائل علمية متطورة فى تشكيل العقل العربي من خلال ما تنقله مختلف وسائل الإعلام والدعاية والنشر؛ لتدمير الوطن العربي وتقسيمه لكي يتحقق لها استغلال ثرواته، والسيطرة على منابع البترول الذي هو من أهم العوامل لاستمرار الحضارة الإنسانية وتطورها، فاستطاعت اختراقنا من خلال هذا الفكر الخبيث.

في المقابل، نجد أن رسالة الله للناس جميعًا أن ينشروا الرحمة بينهم، حيث أرسل رسوله عليه الصلاة والسلام بالرحمة لكل البشر دون تمييز، وأصبحت الرحمة هي الميزان الحقيقي الذي يُقاس عليه انتماء الإنسان للإسلام، وما تحمله الرحمة من أسمى معاني الإنسانية من تعاطف مع الضعيف ومد يد العون للمساكين، ومساعدة الفقراء، والوقوف مع الحق وعدم الاعتداء على الأبرياء.

ا.د. حسن حماد- أستاذ الفلسفة وعلم الجمال العميد السابق لكلية آداب الزقازيق

وفي كلمته قال ا.د. حسن حماد أستاذ الفلسفة وعلم الجمال – العميد السابق لآداب الزقازيق: «رسالة السلام» مؤسسة بدأت نشاطها في مصر منذ عدة سنوات وفي عدد من الدول العربية والأوروبية. وأضاف أن المؤسسة تستهدف بصورة رئيسية إظهار الوجه المشرق للإسلام وتحديدًا إظهار البعد الإنساني لرسالة القرآن الكريم، بوصفه رسالة جاءت لكل الناس ولكل الشعوب والأقطار وليس فحسب هذا العالم المحدود الذي نعيش فيه.

ا.د. حسن حماد: المؤسسة تستهدف بصورة رئيسية إظهار الوجه المشرق للإسلام وتحديدًا إظهار البعد الإنساني لرسالة القرآن الكريم

وذكر أنه من خلال وجود مؤسسة رسالة السلام في مصر قمنا بالعديد من الندوات في مجالات متعددة، تربوية وسياسية ووطنية وكلها تستهدف صالح الوطن.

وأكد على أن هذه الفعاليات جميعها يحركها هذا الباعث والدافع من أجل وطن ينعم بالحرية وأيضًا من أجل أن تلتقي إرادة هذه الأمة لصالح هذا الدين.

المفكر الإسلامي أحمد شعبان- رئيس جمعية الرواق الجديد

وفي كلمة المفكر الإسلامي أحمد شعبان-رئيس «جمعية الرواق الجديد» بعنوان «منهجية فهم القرآن» قال: كرر الرئيس عبد الفتاح السيسي، أكثر من مرة وألحَّ على وجوب أن نُعمل الوعي والتفكير في ديننا وأن نفكر في تديننا عسى أن نخرج من الورطة التي تعيش فيها أمتنا على مدى تاريخها كله.

وأضاف أنه في هذا السياق يجب أن نبدأ بسؤال هام للغاية، ما هي رسالة الإسلام؟ ما السبب الذي أنزل من أجله القرآن الكريم؟.. واستشهد بقول الله سبحانه: «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ» (النحل: ٦٤)

د.أحمد شعبان: القرآن الكريم حذر المسلمين من الفرقة والاختلاف في ظل وجود مرجعية واحدة هي الخطاب الإلهي

وقوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: ١٠٧) وتابع: الرحمة للعالمين هي أن نبين لهم ما اختلفوا فيه؛ فكيف نؤدي رسالة الإسلام والتي هي بيان ما اختلفوا فيه ونحن مختلفين؟!

وأن الاختلاف هو ثبات التنوع «الجمود» وهو المؤدي للفرقة «شيع وطوائف ومذاهب» وليس التنوع الهادف للتكامل. رغم تحذير القرآن شديد اللهجة من فرقتنا واختلافنا كمسلمين أصحاب مرجعية واحدة، في قوله تعالى: « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥)، يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ

د. جمال الدمرداش: القرآن منهج للحياة والعمل، فهو نص عربي ولكنه فكر عالمي وليس لأمة دون أخرى

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» (آل عمران: ١٠٥-١٠٦)

وأكد على أن التنوع واقع ويمثل ظاهرة صحية لابد منها للتكامل، فبتكامل رؤانا المتباينة يمكن لنا أن نكون أقرب ما يمكن من حقيقة موضوع البحث،لكن الاختلاف بين الناس سيظل قائم إلى يوم الدين بسبب اختلاف مرجعياتهم كما في قوله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (هود: ١١٨).

د. جمال الدمرداش- أستاذ الدراسات الإسلامية-كلية آداب الزقازيق

وفي كلمة د. جمال الدمرداش- استاذ الدراسات الإسلامية بكلية آداب الزقازيق والتي جاءت بعنوان «القرآن منهج حياة وعمل» قال:

القرآن منهج للحياة والعمل، فهو نص عربي ولكنه فكر عالمي.

وذكر د. الدمرداش في كلمته أن عالمية القرآن حددها القرآن في قوله تعالى: «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ»، فهو ليس للعرب فقط وليس لأمة دون أخرى وأشار إلى شمولية القرآن مستشهدًا بقول الله سبحانه وتعالى : «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» (النحل: ٨٩)، ويبين لكل جانب الحياة قال تعالى : «مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ..» (الأنعام : ٣٨) وأضاف، إذن كانت منهجية القرآن التي عبر عنها بأسلوب الهداية فقال تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» (الإسراء: ٩)

وأضاف، بعض الناس يأخذون القرآن على أنه كتاب تعبدي نقرأه ونختمه ختمات كثيرة ونأتي من أول السورة وننظر متى نصل إلى آخرها، ونقول أتممت عدة ختمات أو قرأت مرات في القرآن ولكن دون تدبر.

وتابع: هذه ليست قراءة، لأن يقرأ الإنسان آية واحدة فيحفظها ويتفكر في معناها وما وراءها من المعنى والمغزى أفضل من أن يقرأ القرآن كاملًا دون تدبر أو فهم، يقول تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (محمد: ٢٤)

وأضاف: فالتدبر واجب. ثم بعد التدبر والفهم يأتي العمل، فالقرآن منهج عمل ولم ينزل لننشده أو لنقرأه بأصوات عذبة أو نحفظه في أوراق تبركًا به أو نعلقه على الجدران. إنما هو منهج للحياة ودستور شامل، فالبنسبة للعمل نجد القرآن في محكم آياته يقول الله تعالى: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ..» (القصص: ٧٧)

وقال د. الدمرداش خلال كلمته، إن كانت آيات القرآن ٦٢٣٦ آية، آيات بها معاني للتوحيد ومعاني العبادة، كذلك بها معاني الحرص على العمل: «وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ..»

يقول تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (الجمعة: ١٠)، أي لا تظلوا جالسين عبادًا مسبحين مرددين للتسابيح

•كوكبة من المفكرين والإعلاميين وأساتذة جامعة الزقازيق والشخصيات العامة والطلاب شاركت في الأمسية الرمضانية

• مؤسسة رسالة السلام أقامت العديد من الندوات في مجالات تربوية وسياسية ووطنية وكلها تستهدف التوعية والتنوير لصالح الوطن

وهكذا، وإنما هناك وقت للصلاة وهي أقدس العبادات فجميعها لا تأخذ أكثر من ساعة وباقي الوقت عمل، فالدول ترقى وتتقدم، والشعوب تنهض، فيا أمة الإسلام هذا كتابنا فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض.

ويقول تعالى: «..فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (الملك: ١٥)

وأوضح د. الدمرداش أن الله تعالى استعمرنا في الأرض وفي كلمة «استعمرنا» عندما تدخل (الألف والسين والتاء) على الفعل فهي دلالة على الطلب، واستعمرنا في الأرض أي طلب منا عمرانها، أن نعمر هذه الأرض بالعمل ولنتجه لأن نغرس شجرها وأن نخرج ما في باطنها وأن نعمل ونكد.

فأمة الإسلام ليست أمة كسالى وإنما هي أمة عاملة ورسولنا صلى الله عليه وسلم خيرمثال لذلك.

المستشار د.محمد فريد

ومن جانبه قال المستشار د. محمد فريد في كلمة بعنوان «المرأة في القرآن»: كرَّم الله تعالى المرأة في نصوص القرآن الكريم وساوى بينها وبين الرجل، إذ لا تستقيم الحياة بدونها.

وأضاف في كلمته أن النساء لا يكرمهن إلا كريم ولا يُهنهن إلا لئيم، لافتًا إلى قول بعض المفكرين «يقاس تحضر الإنسان بنظرته

إلى المرأة»، وذكر أن منهج القرآن يعتبر المرأة إنسان حيث قال تعالى في محكم آياته: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..»

وأضاف، الأصل أن المرأة إنسان فهي مساوية للرجل في كافة الحقوق ومثال على ذلك في سورة التوبة الآية ٧١: «وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

المستشار محمد فريد: الله تعالى كرَّم المرأة في نصوص القرآن الكريم وساوى بينها وبين الرجل، إذ لا تستقيم الحياة بدونها

حَكِيمٌ» بإعمال الفكر بمرجعية إسلامية.

وأشار إلى كتاب عباس العقاد «التفكير فريضة إسلامية»، فأهم ميزة للإنسان هو العقل في سورة البقرة يقول تعالى: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)»

د. محمد الأشوح-موجه شؤون القرآن الكريم بمحافظة المنوفية وعن «التفكر والتدبر في القرآن الكريم» جاءت كلمة د. عبد الله الأشوح- موجه شؤون القرآن حيث وأوضح الفرق بين التدبر والتفكر فقال أن التفكر هو إعمال الفكر للاختيار بين البدائل وضرب مثلًا لذلك بأن هناك طريقان أحدهما يصل إلى الغاية في أقرب فرصة وبأقل مجهود وسيكون هو البديل الأنسب الناتج عن إعمال الفكر.

وأضاف أن خاصية التفكر لم تعط إلا للإنسان مشيرًا إلى أنه في عالم الحيوان عندما يعتدي أحدهما على الآخر يرد المُعتدى عليه بنفس الطريقة دون تفكير، أما الإنسان فعندما يُعتدى عليه يختار بين البدائل فإما أن يرد الاعتداء بمثله أو يسلك أي مسلك آخر كالضرب أو السب أو غيره.

وأكد على أن ميزة التفكر أعطاها

د. محمد الأشوح: الله تعالى منح الإنسان ميزة التفكر والتدبر وفضله بها عن الجماد والحيوان والنبات

الله سبحانه للإنسان وميَّزه بها عن الجماد والحيوان والنبات وجعلهم في خدمته.

وبين د. الأشوح المعنى المقصود بالعلماء في قوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..»، كلمة العلماء في الآية تنطبق على العالم الذي يتأمل من خلال الملاحظة والتجربة في المعطيات التي خلقها الله سبحانه من إنسان وحيوان وجماد، وليس المقصود كما يعتقد الكثيرون أنهم علماء الفقه والتفسير.

وأضاف أن الإنسان بعد هذا

• استغل أعداء الإسلام تلك الفرق الضالة التي اعتمدت عقيدتها على مرجعيات بعض فقهاء الزور والباطل ليوظفوهم في تدمير الدول العربية

التفكر والتأمل يؤمن بأن الله صانع لهذا العالم لهدف وغاية يريدها وأن يكون الإنسان عبدًا حقًا لله بحيث يقيم حضارة يتعانق فيها العلم مع الدين حيث لا تناقض بينهما.

وتابع: ما يفسد التفكر لدى الإنسان هو أن يقلد غيره تقليدًا أعمى، أي أن الجيل اللاحق يقلد الجيل السابق وليس عنده جديد، فنجده يعيش على معطيات الماضي دون ابتكار.

وضرب د. الأشوح مثلًا لذلك بالتمرين الهندسي له معطيات إذا وقفت عندها لا أستطيع حل التمرين، فعندما يكون عندي معطيات أنظر إلى المطلوب واستخدم المعطيات في البرهان لكي أصل إلى النتيجة والحل.

القرآن يفرق بين العالم الذي يتأمل والمقلد

وأضاف، نجد القرآن يخاطب الجيل الثاني يقول تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» (البقرة: ١٧٠)

أي أنهم يتبعوا الجيل الأول تقليدًا أعمى بدون ابتكار فنجد الله تعالى يقول: «أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ»

يقول د. الأشوح: إذا نظرنا إلى كلمة (ألفينا) تختلف عن كلمة (وجدنا) فهي تفيد «عشنا معهم على هذا العمل مدة طويلة» بحيث أصبح المقلَّد مألوف عند المقلِّد والمقلِّد مألوفًا عند المقلَّد. وفي موضع آخر يقول تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» (المائدة: ١٠٤)

وأشار د. الأشوح إلى أن الحق سبحانه وتعالى في مجمل هذا الكلام يريد منا أن نكون أمة مبتكرة نأخذ معطيات من الماضي ثم نضيف إليها جديدًا لنبني لا

د. محمد عبد ربه: الجانب الأخلاقي للمسلم هو جوهر الخطاب الإلهي ويجب مطابقته مع ممارسته للعبادات والفرائض

مدنية وحدها، ولكن نبني حضارة قائمة على تعانق الدين والعلم.

ولفت إلى المدنيات التي هدمتها السماء مثل مدنية عاد: قال تعالى: «فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ

مِنَّا قُوَّةً ..» (فصلت: ١٥) ومدنية ثمود، يقول تعالى: «وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» (الفجر: ٩)، ولكن الله سبحانه وتعالى أزال كل هذه المدنيات لأنها مدنية لا يحرسها الدين، فالمدنية التي يحرسها الدين تتحول إلى حضارة تظل مثلًا ونبراسًا إلى أن تقوم الساعة.

د. محمد عبد ربه- الإعلامي والحاصل على الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

وفي كلمة بعنوان «أخلاقيات القرآن الكريم» أكد الإعلامي والباحث الإسلامي د. محمد عبد ربه، على ضرورة تطابق الجانب الأخلاقي للمسلم مع ممارسته للعبادات والفرائض.

أن هناك أناس آمنوا بالله واليوم الآخر ولكنهم لم ينالوا صفة المؤمنين مستشهدا بقول الله تعالى في سورة البقرة: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨)

وتابع: أن إيمانه واعترافه باليوم الآخر لم تتوافق معه أخلاقياته، فلو أنه آمن إيمانًا حقيقيًا بالله واليوم الآخر ما كان حاقدًا ولا حسودًا ولا مرتشيًا، مؤكدًا على أن هؤلاء وصفهم سبحانه بعدم الإيمان لأن الجانب الأخلاقي لم يتطابق مع «لا إله إلا الله محمد رسول الله»

وأشار د. عبد ربه إلى أن علة الصلاة هي النهي عن الفحشاء والمنكر، ونجد من يقف بين يدي الله في الصلاة وهو مرتشٍ أو عاق لأبيه أو أمه، موضحًا الفرق بين إقام الصلاة وأدائها، فأداء الصلاة في المسجد حسب ركعات كل صلاة، ركوع وسجود وتشهد وسلام، ولكن إقامة الصلاة تكون خارج المساجد بالحفاظ على تجنب المال الحرام والاعتداء على أحد أو النظر إلى المحرمات ولا أن تخطو الأقدام إلى ما يغضب الله عز وجل.

ولفت د. عبد ربه إلى الصيام كما جاء في آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ١٨٣)

وأن علة الصيام هي أن تجعل بينك وبين كل ما يغضب الله تعالى وقاية من النظر إلى الحرام والاستيلاء على حقوق الآخرين أو أذى الناس باللسان أو إيقاع الفتنة بينهم.

توصيات الندوة

في ختام ندوة «القرآن الكريم بين التنزيل والتضليل» ألقى الأمين العام لمؤسسة رسالة السلام، أسامة إبراهيم، التوصيات التالية:

التأكيد على أهمية أن تستمد المناهج التربوية والأخلاقية والدينية مرجعيتها من تعاليم ومبادئ القرآن الكريم.

أن قضية إصلاح الخطاب التعليمي بما يطابق الشريع الإلهية التي جاء بها القرآن مسألة تخص الأمن القومي وليست قاصرة على مؤسسات التعليم وحدها.

المطالبة بتطهير خطاب التعليم الديني من المرويات والإسرائيليات التي تشوه صورة الإسلام وتفرض صورة منفرة للخطاب الديني.

القرآن خطاب إلهي يتوجه لكل البشر ولكل المعتقدات والملل ولكل الجنسيات ولكل إنسان على هذه الأرض.

الحذر من الفهم القاصر والمشوه الذي قدمته الأحاديث والمرويات للإسلام بحيث تبدو الصورة وكأننا أمام نوعين من الإسلام:

الإسلام الصحيح الذي جاء به القرآن.

الإسلام الموازي الذي جاء به رواة الأحاديث والفقهاء.

خلاص هذه الأمة وتحررها من عبوديتها ومن تشرذمها يكون بالعودة إلى الينابيع الصافية والنقية للإسلام كما جاء بها القرآن.

قضية للمناقشة

الجهاد والقتال في سبيل الله... أي تطابق أو تخالف بين المفهومين؟

محمد ناجي
إعلامي موريتاني

من المفاهيم الملتبسة التي أدى التباس فهمها، وضبابية الرؤى حولها إلى نتائج عكسية عمليا ونظريا في التطبيقات الواقعية للإسلام، مفهوما الجهاد والقتال في سبيل الله.

وقد قسم أهل الذكر، تقليديا، الجهاد إلى نوعين: جهاد طلب، وجهاد دفع، واشترطوا في كليهما وجود مظلومين مسلمين يجب الانتصار لهم، أو وقوع اعتداء على المسلمين، وأكدوا في الحالين مبدأ عدم إكراه الناس على اعتناق الإسلام.

ويرى مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته المنعقدة في مارس ٢٠١٥ في الكويت أن «غاية جهاد الطلب ومقصده تبليغ رسالة الإسلام، دون إكراه للناس على الدخول فيه، لقوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [البقرة:٢٥٦] ، وقوله سبحانه: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [النور:٥٤] ، وقوله سبحانه: (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) [الشورى:٤٨] ، وفي هذا النوع من الجهاد، وفي ظل الظروف المعاصرة فعلى الدعاة اليوم الإفادة من الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي جعلت العالم دارعهدٍ، تسمح فيه الدول بالتنقل وإطلاق الحرية في تبليغ الدعوة واستخدام مختلف الوسائل الحديثة، ووسائل الاتصال المعاصرة للدعوة، وتبليغ رسالة الإسلام بمختلف اللغات وفي مختلف المجتمعات».

وهو ما يعضده الخطاب القرآني انطلاقا من الآيات الواضحة السابقة.

ويبدو هذا الفهم واضحا في ما سطره الأستاذ علي محمد الشرفاء الحمادي، في كتابه «المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الإلهي»، الذي فرق بين مفهومي القتال والجهاد في سبيل الله، حيث استدل من النص القرآني على أن القتال في سبيل الله حق مشروع لكل الناس للدفاع عن النفس وعن الممتلكات وعن الأسرة والأعراض والأوطان، وضد التعدي على حقوق الناس بكل السبل والوسائل التي ترد الاعتداء أو تعيد الحقوق لأصحابها، وهذا التشريع ليس موجها لقوم عن قوم أو لمتبعي ديانة دون أخرى.

واستدل الأستاذ بالآية الكريمة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) ١٩٠ البقرة.

ويشدد الأستاذ الشرفاء على ضرورة احترام ضوابط محددة منها التوقف عن الحرب عند ميل المعتدين إلى طلب السلم (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) ٦١ الأنفال. ويسترسل مؤكدا ضرورة احترام النفس البشرية والابتعاد عن إلحاق الأذى بها دون حق، طبعا للآيات القرآنية الكثيرة التي تؤكد هذا المبدأ الأساسي الثابت في تشريع الله للإنسان منذ فجر الرسالات والنبوءات، انطلاقا من قصة ابني آدم ووصولا لعصرنا الحاضر.

أما المفهوم الثاني، فهو الجهاد، وحيث ما ورد في القرآن فإنه يدل على المجاهدة بالحجة ومقارعتها بالحجة، والآيات شواهد على ذلك، حيث يأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمره له أمر لنا جميعا، بمجاهدة الكفار بالقرآن: (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاد كبيرا).

الجهاد، حسب رؤية الشرفاء، هو بذل الجهد والطاقة في سبيل تحقيق أوامر الله سبحانه وتطبيقها على أرض الواقع.

والحاصل من مقارنة المفهومين وسبر التقسيمين إجماع المفكرين وأهل العلم على مبادئ إسلامية صميمة منها عدم الاعتداء واحترام النفس البشرية والممتلكات، وترك الحرية للناس في اعتناق الإسلام أو عدم اعتناقه، وهي المبادئ التي تكفل احترامها بدخول الكثيرين في الإسلام عبر التاريخ، فيما تسبب عدم احترامها في خلق خلبطة وتشويه للإسلام لدى الكثيرين من الذين وصلتهم الصورة مغلوطة.

قضية للمناقشة

خطورة الطلاق في نظر المفكر علي الشرفاء

كامل الدليمي
باحث وناقد

قرأت كتاب الطلاق الذي صدر للمفكر العربي الأستاذ علي الشرفاء، عن مؤسسة رسالة السلام، وهو من المؤلفات المهمة في مجالات الفكر الاجتماعي والاهتمام بالأسرة العربية بوصفها نواة المجتمع إذا صلحت صحّ المجتمع وهو ما أشار الله سبحانه وتعالى له في كراهته .

اشار المؤلف إلى أسباب التفكك الأسري في عالمنا العربي والإسلامي، ولو أن الكتاب اكتفى بهذا الموضوع مع التوسع لكان أفضل؛ لأن عملية بناء الأمة العربية لن تنجح إلا من خلال إعادة النظر في الأساليب التربوية القائمة بهدف إنتاج أجيال جديدة تحمل ثقافة الاعتدال وصحيح التديّن المقترن بترقية شق المعاملات كجناح موازٍ لشق العبادات، لأن المولي العزيز القدير قد يعفو عن التقصير في حقه، ولكنه لا يعفو فيما يتعلق بحقوق العباد.

أهم ما أشار إليه الكاتب بهذا الشان؛ أن تصدع الروابط الاجتماعية بين الأسر العربية يرجع إلى خفوت صوت الإعتدال وسقوط منظومة القيم النبيلة مثل قيم: الرحمة والعدل والسلام والتعاون والمساواة في كافة البلدان، كذلك انتشار الخصال السلبية : كالظلم وأكل أموال الناس بالباطل وغيرها في كل ما يتعلق بالممارسات الفردية بين البشر. ونشير هنا الى الطلاق لغوياً وهو مأخوذ عن الإطلاق وهو الارسال والترك، وفي الشرع يعني حل رابطة الزواج وانهاء العلاقة الزوجية. والطلاق في الاسلام اجراء مرفوض إلا في حالات الضرورة، وذلك لأن في الطلاق كفر لنعمة الله، لأن الزواج نعمة وكفران النعمة حرام، واي انسان يسعى في افساد علاقة زوجين فهو خارج عن خلق الاسلام ولا ينتسب له. وأشير ايضاً الى أن لمطلقات هن اكثر فئات المجتمع ألماً، لأنهن في نظره هن المسؤولات عن فشل العلاقة الزوجية، ولم يوصلن هذه العلاقة لبر الأمان، هذا من جهة، ولأنهن غالباً ما يُنظر لهنَّ بنظرة المخلوق الجنسي لأنها في العادة تكون مدانة بالانحراف ونادراً ما تثبت براءتها والرجل يعتبرها فريسة سهلة لأنها مجربة وواقعة تحت ضغط نفسي واجتماعي يقلل من مقاومتها، ولأنها تحتاج الى الحنان الذي حرمت منه، ولا تقع تحت حماية رجل أو اسرة من جهة اخرى. ، ومما لاشك فيه أن جميع الاديان لها رأي واضح وصريح في قضية الزواج والطلاق، ولكن ما يحدث من مشاكل هي من فعل الانسان، والشريعة بريئة منها، من هنا يجب ان لا نزج الدين في المشكلة لأن الدين بيّن حقوق وواجبات كلاً من الطرفين، الزوج والزوجة. ويعرج الشرفاء على مسألة غاية في الاهمية بزعمه أن المجتمع العربي مازال يعاني من ظاهرة الطلاق الشفوي غير المثبت في وثائق، وهذا يهدد جوهر الزواج حسب المنهج الإسلامي لأن وجود زوجين تحت سقف واحد حدث بينهما الطلاق البائن شفويا يمثل مشكلة نفسية؛ لأن الإحساس الداخلي بعدم شرعية العلاقة الزوجية لدى الطرفين يُولد نوعًا من اللامبالاة تنسحب على كافة التصرفات، والتالي يصبح الهيكل الأسري غير متسق مع نفسه، ويعاني من إزدواجية في الولاء العقائدي، كما أن حدوث الفراق بسبب الطلاق يؤدي إلى الانهيار والتفكك في بنيان الأسرة. إذا نحن أمام قضية في منتهى الخطورة، وتعكس مدى هشاشة المؤسسات الدينية القائمة؛ لأنها فشلت في دروها الدعوى رغم ما ينفق في تمويلها من أموال طائلة، هذا الفراغ الدعوي يفسح المجال أمام المجتهدين غير المتخصصين عن حسن نية، فيقودون الجماهير المتعطشة للوئام الروحي ببعض الفتاوي الخاطئة، أو بعضهم يتجه بهم نحو التطرف الدموي. ومع ذلك نبه الشرفاء على دلالات الطلاق في القرآن الكريم واحتج بها وخير حجة هو القرآن الذي اتخذ منه الشرفاء مصدر تشريع رئيسي ولا شك في أن كل ماعداه مشكوك بصدقيته خصوصا والفصل الحق بين قولنا قال تعالى وقال فلان. وقد ورد في الطلاق آيات كريمات في البقرة وحدها من الاية ٢٢٦ الى الاية ٢٤١، وهذا الكم من الايات في سورة واحدة دليل خطورته على الاسرة والمجتمع . وفي الاحزاب جاءت الاية (٤٩) وفي الطلاق سبع آيات ، واذا كان الله سبحانه قد جعله ابغض الحلال في كل الثقافة الاسلامية فكيف واليوم تشهد المحاكم الشرعية في عامة وطننا العربي آلاف الطلاقات وهي تنذر بتفكك اسري خطير. واذا كان المفكر العربي الشرفاء قد اشار لخطورة موضوع الطلاق فانما هو تبع ما حذر منه الله سبحانه وتعالى ، وأؤكد أن هذا الكتاب بحاجة لدراسة مستفيضة لايمكن تغطية مادته العلمية بهذه العجالة، وهنا الفت نظر الباحثين لذلك.

استطلاع

مفكرون وإعلاميون يتحدثون عن كتاب

الطلاق

يهدد أمن المجتمع

إسلام لطفي

هذا الاستطلاع أجرته مؤسسة رسالة السلام للأبحاث والتنوير مع كوكبة من المفكرين والإعلاميين والمفكرين عن كتاب «الطلاق يهدد أمن المجتمع» للمفكر العربي علي محمد الشرفاء الحمادي للطلاق الشفهي الذي هو بمثابة كلمة تخرج في ساعة غضب تؤدي لتدمير أسرة بأكملها. وجاء ذلك الطلاق اعتمادًا على روايات ما أنزل الله بها من سلطان ترتب عليها الكثير من الكوارث الاجتماعية وتدمير الأسرة الإسلامية.

في البداية، نسلط الضوء على بعض ما جاء في كتاب «الطلاق»: «لو تدبرنا في القرآن الكريم لوجدنا العدد الكبير من الآيات تتعلق بحقوق المرأة والتي تجاوزت سبعون آية، تتضمن تشريعات وأحكام وعظات لحماية المرأة من أي تعسف في معاملتها من قِبَل الزوج، بالرغم مما تتحمله من مسؤولية جليلة من حمل ورضاعة وتربية وسهر، علاوة على مسؤولية البيت حيث تصبح مسؤولياتها ثلاثة أضعاف مسؤولية الرجل.

لقد احتكر الرجال وضع كتب الفقه، واعتمدت عليه قوانين الأحوال الشخصية في المجتمعات العربية بشكل يخالف التشريع الإلهي، ضاربين عرض الحائط بكافة حقوق المرأة بكل الاستبداد والأنانية لخدمة أهوائهم الشخصية ورغباتهم في الاستعلاء على المرأة وإذلالها لتكون مهمتها الإنجاب والتربية والخدمة في المنزل.

وقد تجاوز الفقهاء الخطوط الحمراء في التشريع الإلهي الذي أنصف المرأة، ووضع من الأحكام درعًا يحفظ حقوقها، فقد ظُلِمَت المرأة قرونًا طويلة حين تم هجر القرآن وتشريعاته التي تحقق العدل للأسرة ذكورًا وإناثًا وأزواجًا.

وقد عرض القرآن الكثير من التشريعات

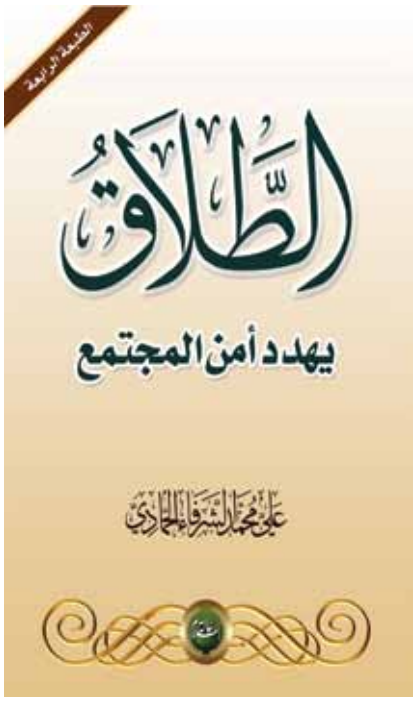

الخاصة بها في أكثر من سورة، وهي (سورة النساء وسورة الطلاق)، وتضمنت سورة البقرة وسورة المائدة وسورة النور وسورة المجادلة وسورة الممتحنة وسورة التحريم الكثير من الآيات الخاصة بالمرأة أيضًا. ولو قارنَّا حرص القرآن الكريم على ذكر مكانة المرأة وحقوقها بالنسبة للرجل، لوجدنا ذِكر الرجل أو الذَكر بالنذر اليسير، لأن الله سبحانه يعلم اعتداد الرجل بالقوة والاستعلاء والتميز بالذكورة، مما يعطيه حق السيادة على المرأة متجاوزًا بذلك كل التشريعات والأحكام الإلهية لإرضاء نفسه وتحقيق رغباته الأنانية.

وعلى مَر العصور، ظلَّ فقه الأحوال الشخصية محصورًا على الرجال، ولم يسعَ أحدهم لاتباع التشريع الإلهي وأحكامه فيما يختص بأحكام المرأة والتي تحافظ على حقوقها. ولذلك، وحيث أن المرأة لم يكن لها دور في المشاركة مع الرجل في التشريع واستنباط الأحكام من الآيات الكريمة لوضع قوانين الأحوال الشخصية تتفق مع التشريعات الإلهية، لتغيرت معالم المجتمع العربي والإسلامي في حماية الأسرة، لتطلق مناخًا آمنًا ومستقرًا لتربية الأطفال ورعايتهم علمًا وأخلاقًا، حيث ترتقي المجتمعات العربية والإسلامية في التعليم والإبداع والمساهمة الإيجابية في تقدُّم البشرية في كل المجالات.

ولكن أحكام الفقه المغايرة لشرع الله، تسببت للأسف في تشريد الأطفال في الشوارع مما جعلهم يضيعون بين المخدرات والتسول والسرقات، ومنهم من استغلتهم الجماعات الإرهابية وحولتهم إلى وحوش وقتلة واستباحوا إنسانيتهم، وفقدت المجتمعات عشرات الآلاف من الشباب كان يمكن أن يتحولوا إلى قاطرة التقدم والتطور في مجتمعاتهم. ولذلك فإن قضية الطلاق تتطلب ضرورة العودة لكتاب الله الذي يأمر بالعدل والإنصاف ويُحرِّم العدوان بكل أشكاله المعنوية والمادية، فلا خلاص للمجتمع العربي والإسلامي إلا بالعودة لكتاب الله ليخرجنا من الظلمات إلى النور ويحمي الحقوق بالعدل ويهزم الباطل.

ومن أجل تصحيح مسار الأسرة العربية والإسلامية، ينبغي تشكيل لجنة من الخبراء القانونيين مناصفةً بين الرجال والنساء، بحيث تكون مهمتهم تصحيح ميزان العدل ووضع قانون جديد للأحوال الشخصية معتمدًا على مرجعية واحدة هي كتاب الله وآياته فقط، حتى نبدأ خطوة شجاعة نحو بناء أسس سليمة وعادلة تحقق المصالحة بين الرجل والمرأة، وتحدد مسؤولية كل منهما في سبيل بناء مجتمع التعاون والألفة والرحمة، وتعظيم المودة بين الزوجين من أجل استكمال مهمتهما في بناء لَبِنات قوية ومتينة تتجاوز الخلافات البسيطة.

هدفهما الأسمى رعاية الأطفال والحفاظ عليهم، وحماية الأسرة من التفكك لأن الأسرة قوام المجتمع، عندئذٍ تستطيع المجتمعات العربية والإسلامية التقدم والتطور والرقي وقيادة الحضارة الإنسانية نحو العدل والحرية والرحمة والسلام.

وقد كرَّم الله تعالى المرأة والأم في قوله تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» (لقمان : ١٤)

&&&

أستاذ فلسفة: كتاب «الطلاق يهدد أمن المجتمع» يحمي الأسر من التفكك

حذّر أستاذ ورئيس قسم الفلسفة والعميد الأسبق لكلية الآداب جامعة الزقازيق، د. حسن حماد، من استمرار اعتماد الطلاق الشفهي، لما له من أضرار على الأسرة وتفككها، وضرورة وجود عقد موثق له؟

وقال في تصريح خاص لـ«التنوير»، إنَّ كتاب «الطلاق يهدد أمن المجتمع»، للمفكر العربي علي محمد الشرفاء الحمادي والصادر عن مؤسسة رسالة السلام للأبحاث والتنوير، يدق جرس الإنذار أمام ظاهرة خطيرة وهي الطلاق الشفهي، وهو مهم جدًا في اللحظة الراهنة.

وأشار إلى أن الكتاب يتجاوب مع السياسة العامة في مصر التي تتبناها الدولة، وعلى رأسها الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، حيث أثار هذه الإشكالية في العديد من اللقاءات والكلمات التي كان يُوجّهها للأزهر والجمهور.

وأضاف أنه من الكتابات المهمة والمرتبطة بالواقع بصورة مباشرة،

مشيرًا إلى أنه آن الأوان لأن يُصبح الطلاق شأنه شأن الزواج، يرتبط بعقد مكتوب بشكل أساسي، والمقصود هو الطلاق الشفهي الذي يسود معظم المجتمع.

واستنكر أنه لمجرد أن الشخص في لحظة غضب يحلف على زوجته أنها طالق، وكثير من البيوت هُدمت بسبب لفظة طائشة بالطلاق.

ودعا د. حماد إلى وضع حد لهذه الفوضى وأن يُصبح الطلاق مثل الزواج يرتبط بشهود رسميين ويكون عقد رسمي موثق ولا يجوز لرجل أن يطلق زوجته غيابيًا نتيجة لنزوة أو غضب أو لموقف انفعالي. مشيرا إلى الخراب الذي يُحاصر الأسرة والتهديد الدائم للمرأة أنها سوف تطلق بسبب ربما يكون تافهًا.

× × ×

وكيل «التربية» يشيد بكتاب «الطلاق يهدد أمن المجتمع»

أشاد أستاذ العلوم التربوية ووكيل كلية التربية بجامعة بني سويف، د. محمد المرصفي، بكتاب «الطلاق يهدد أمن المجتمع»، للمفكر العربي علي محمد الشرفاء الحمادي، والصادر عن مؤسسة رسالة السلام للأبحاث والتنوير، لمناقشته قضية الطلاق بشكل جيد ومعالجته كثير من النقاط الهامة.

وأشار إلى أنّه من ضمن الأمور الهامة التي تناولها الكتاب هي مسألة التراحم والرحمة بين الأزواج، التي هي أساسها تبنى العلاقات الإنسانية. بضرورة وجود مراكز «إرشاد ما قبل الزواج» للرجل والمرأة، حتى يكون هناك إجراء وقائي لتقليل نسب الطلاق.

ودعا في تصريح خاص لـ«التنوير»، إلى ضرورة اتباع الرحمة والمودة بين الزوجين وأضاف أنه من المؤسف أن العدوان أصبح هو الأساس، ولكن الرحمة أصبحت هي الاستثناء، رغم أنه لا بد من اتباعها سواء وهما زوجين أو بعد الطلاق.

قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: ٢١).

ولفت إلى أن الزواج ليس مجرد رجل وامرأة يلتقوا يوم الزفاف وإشباع رغبة تلح عليهم كشباب وتنتهي المسألة، لذلك فإن الإرشاد يكشف أن هناك مهام وأدوار للزوج والزوجة، وهذه الأدوار تحددها ثقافة المجتمع وجزء مهم جدًا منها رأي الدين في هذا الإطار.

وأكد أن الزواج ليس لهوًا كما يظهر في بعض الأفلام والمسلسلات، بل هو مسؤولية، لذلك يجب البحث عن المشكلة والتعامل مع الزوجين وتقريب وجهات النظر، في حالة وجود أطفال أم لا.

إدارة الأزمة بين الزوجين بشكل صحيح

وشدد أستاذ التربية على أنه طالما يوجد أطفال، يجب أن يكون هناك إدارة للأزمة بشكل صحيح، وأن يتدخل شخص من أهله وآخر من أهلها ويكون لديهم رشد وفهم.

قال تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا» (النساء: ٣٥).

وأوضح أنه عند استحالة العشرة بين الزوجين، يجب أن يكون الخروج بالمعروف، وكل شخص يحصل على حقوقه طبقًا للشرع ولا يجب أن تتحول العلاقة إلى عداء، لأي سبب من الأسباب.

وحذر من أن الأسر المفككة يكون لديها أطفال يكررون النموذج ذاته فيما بعد في حياتهم الزوجية.

وذكر أن غياب الأم والأب الكامل يؤثر في النمو النفسي للأطفال، لافتا الى احتياجهم إلى أب وأم، ويحصلون على بعض الخصائص منهما، وهي التي تشكل شخصيتهم في النهاية.

× × ×

الإسناوي: رؤى المفكر علي الشرفاء تقلل نسب الطلاق

كشف مدير مركز «رع» للدراسات الاستراتيجية د. أبو الفضل الإسناوي ، عن تطابق الرؤى بين الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي والمفكر العربي على محمد الشرفاء الحمادي في كتابه، «الطلاق يهدد أمن المجتمع» وكذلك ما يطرحه المسلسل التليفزيوني «فاتن أمل حربي» فيما يخص بتحصين حقوق المرأة.

وقال في تصريح خاص لـ«التنوير»، إنَّ تحصين حقوق المرأة يُقلل من نسبة الطلاق، موضحًا أن كتاب «الطلاق يهدد أمن المجتمع» للمفكر علي الشرفاء، والصادر عن مؤسسة

«رسالة السلام» للأبحاث والتنوير»، يحمل رؤى تنويرية حقيقية عن المرأة، وكان سابقًا للمسلسل في طرح القضية.

وأضاف د. الاسناوي أنه في حالة تطبيق ما في الكتاب تطبيقًا صحيحًا، سيؤدي إلى تقليل نسبة الطلاق والاستكمال الكامل لحقوق المرأة في الميراث والحياة السياسية والاجتماعية والوظيفية.

وأشار إلى أن المفكر علي الشرفاء، من المفكرين الأساسيين الذين يعتبرون للمرأة حق رئيسي من حقوق المجتمع، حيث إن الكتاب يؤكد أن المرأة نصف المجتمع وحقوقها لا بد أن تكون مكفولة بالقانون والدستور وايضا من جانب الزوج.

التقارب بين رؤى المفكر علي الشرفاء والرئيس المصري

ولفت د. الاسناوي إلى أن الكتاب والمسلسل يتقاربان مع رؤية الرئيس السيسي للمرأة، خاصة أن فترة رئاسته تمثل دور رئيسي في حياة المجتمع، فيوجد أكثر من ٦ وزيرات في الحكومة، وأكثر من ٩٠ نائبة في مجلس النواب، وما يقرب من ٢٧ امرأة في مجلس الشيوخ وكذلك المرأة أصبحت قاضية.

وأكد أن كل هذه الحقوق التي نادى بها علي الشرفاء وتؤكدها الدولة المصرية في عهد السيسي تحصن حقوق المرأة في ظل هذه الفترة، ما يُعتبر تطابقًا واضحًا.

× × ×

رئيس جمعية «روح الحب»: هذه الأسباب تدفع الزوجين للطلاق

حذّر د. ممدوح البنداري، رئيس جمعية «روح الحب»، من النتائج المترتبة على الطلاق، ومن العديد من المشاكل الاجتماعية والتي تؤثر بالسلب على الزوجين، وأيضًا على الأطفال الذين يتضررون نفسيًا وتعليميًا وفي كل مناحي الحياة.

وقال في تصريح خاص لـ«التنوير»، إن الطلاق آفة من آفات المجتمع، مشيرًا إلى أنه من الأسباب التي تسببه: سوء الاختيار

وغياب التكافؤ بين الزوج والزوجة، مما يخلق تنافر وعدم تفاهم بينهما.

وأشار إلى أنَّ تدخل الأهل من كلا الطرفين في حياة أولادهم، يثير حفيظتهما ويجعل المشاكل تتفاقم وتؤدي في النهاية إلى الطلاق.

ولفت كذلك إلى الحالة الاجتماعية والإسراف في الطلبات، مع عدم القدرة على تلبية ما يُطلب من كلاهما والتي لم يُنظر إليها قبل الزواج وتأثيرها على مسيرة الحياه الزوجية وكثرة الخلافات والنقاشات والتي تؤدي في النهاية إلى الطلاق.وذكر أن الفوارق العمرية سواء السن المتقارب وأيضًا المتباعد بين الزوج والزوجة، يؤدي إلى عدم التفاهم ويؤجج الخلافات الدائمة لعدم التوافق الذهني بينهما بعد الزواج وتغير الطباع، مما يجعل المشاكل تتكاثر وتؤدي في النهاية إلى الطلاق .

واستنكر عدم تأهيل المقبلين على الزواج من خلال برامج علمية، تؤدي إلى معرفتهما بكل أمور الزواج والفهم الحقيقي لمعنى كلمة زواج.وأوضح أن من الأسباب أيضًا عمل المرأة والذي يؤثر بالسلب على استقرار الأسرة، لإهمال الزوجة لشؤون البيت والأطفال، وما ينتج من خلافات مادية بين الزوجين.

وتضمنت الأسباب التي ذكرها عدم وجود الصراحة والتفاهم المطلوبين وخاصة في فترة التعارف وأثناء الخطوبة الذي يظهر فيها كل منهما الأفضل وكل ما هو جميل من خصال.

وفي هذا الإطار وضع المفكر العربي علي محمد الشرفاء الحمادي، العديد من الأسس التي تحمي الأسر من التفكك، في كتابه «الطلاق يهدد أمن المجتمعات»، الصادر عن مؤسسة «رسالة السلام للأبحاث والتنوير».

أبرز تلك الأسس هي أن الله تعالى أمر أن تكون المعاشرة بالمعروف، فكلما كانت البداية صحيحة وعلى أسس سليمة كلما ابتعد الزوجين عن الطلاق.

وأكد أن المعاشرة بالمعروف وصية من الله نحو معاملة النساء ورحمة بهن وفق الأحكام التي وضعها القرآن الكريم.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا» (النساء : ١٩).

وأوضح أن ما شرعه الله في كتابه الكريم بشأن الزواج والطلاق يستهدف حماية الأسرة لاستكمال مهمتها في بناء المجتمع.

ضمانة لاستمرار الحياة الزوجية

وأكد أن أحكام الطلاق الذي يريده الله سبحانه، صارمة تستهدف الحرص على استمرار الحياة الزوجية حفاظًا على الأسرة.

وذكر أنه إذا تم الالتزام بالمفهوم العاقل والحكيم لأحكام المولى عز وجل في تشريعه التي بيّنها القرآن الكريم لانخفضت نسبة الطلاق كثيرًا جدًا عما هي عليه في الوقت الحالي، وذلك يقلل مما نراه من مآسٍ اجتماعية ناتجة عن ذلك من تفكك للأسرة وضياع الأبناء وآثار التحولات النفسية التي قد تتسبب في الإضرار بأنفسهم أو الإضرار بغيرهم.

قراءة في كتاب

قراءة متأنية في كتاب

المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الإلهي

المستشار/ صالح شرف الدين

ناقد وباحث، عضو اتحاد كتاب مصر

بعد قراءة متأنية لكتاب قيم اطلعت عليه بعنوان: (المسلمون بين الخطاب الديني والخطاب الإلهي) للكاتب والباحث محمد علي شرفاء الحمادي، وجدتني أتذكر موقفًا للشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - في أوائل تسعينيات القرن المنصرم بجنوب أفريقيا، أعادت أكثر من سبعين ألف مسلم إلى حظيرة الإسلام عندما واجهوه ببعض الأحاديث التي جاءت في كتب الصحيح والتي تتعارض مع العلم، قال لهم:

إن آيات القرآن الكريم لا يمكن أن تتعارض مع ظاهر العلم، فكيف يتعارض كلامٌ من الخالق مع ما خلق، لو وجدتم أي تعارض بين العلم وروايات رويت عن النبي فتأكدوا أن رسولكم لم يقل هذا الكلام، لأن من أوحى القرآن هو من قال عن نبيه: لا ينطق عن الهوى...

لقد استخدم الشيخ محمد الغزالي عقله، فأقنع وأفاد وحسم خلافًا، وبينهما كثير من العلماء المخلصين الذين لم يتعصبوا، ولم يخشوا في الله لومة لائم، فجهروا بكلمة الحق، وأكدوا على أن البعد عن كتاب الله فيه ضياعنا، وهو سر تخلفنا وتعاركنا، وكل ما يصيبنا من بلاء، ولعل مقولة الإمام محمد عبده أكثر إيلامًا (وجدتُ في أوروبا إسلام بلا مسلمين ووجدتُ في بلدي مسلمين بلا إسلام)!

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا: (المسلمون بين الخطاب الإلهي والخطاب الديني) يؤكد على حقيقة وجوب التركيز على النص القرآني فهمًا، وتنفيذًا لكل الأوامر التي وردت به، والانتهاء عن كل ما نهى عنه رب العزة في كتابه العزيز القرآن الكريم، وأن يكون المرجع الوحيد للتشريعات، التي

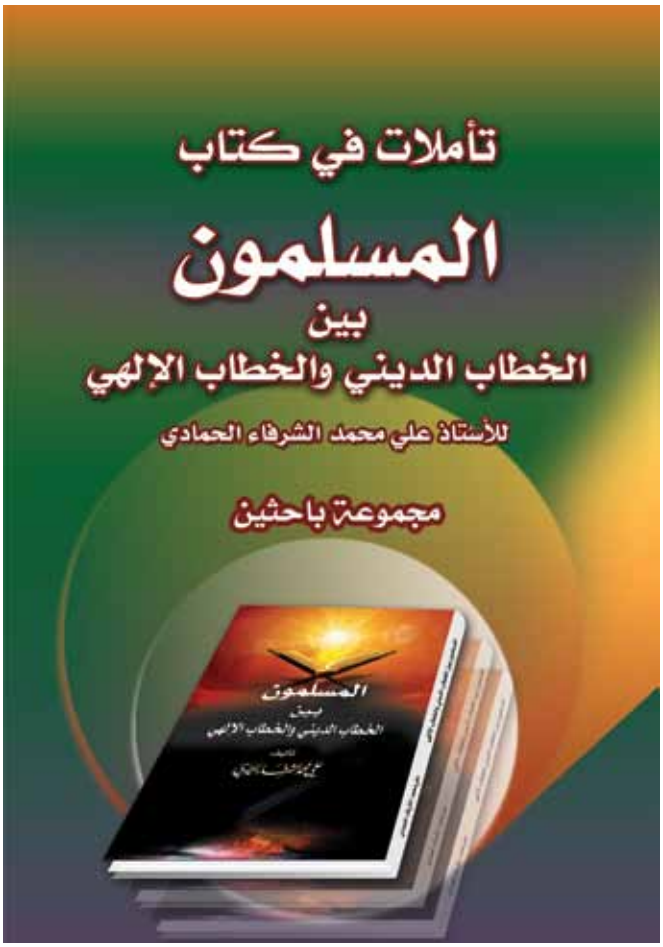

ينصلح بها حال العباد والبلاد.

- المنجز قيم يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة، على الغلاف الأمامي صورة في الأعلى لكتاب يخرج منه النور وحوله نور يشبه نور الشمس المشرقة، وفي الأسفل ما يشبه الجحيم يحيط به السواد، وعلى الغلاف الخلفي صورة للكاتب، وخمسة وعشرون سطرًا توجز الهدف السامي للكتاب، ثم محتويات الكتاب، وآيات من القرآن الكريم، ورسم فيه مقارنة بين الخطابين الديني والإلهي بإيجاز.

الخطاب الإلهي يكشف زيف الخطابات الدينية

في مقدمة الكتاب، يوضح المؤلف كيف أن الخطاب الإلهي يكشف زيف الخطابات الدينية التي مزقت المسلمين إلى عشرات الفرق يكفر بعضها بعضًا، ويهدر بعضها دماء بعض، وترتكب من الفظائع ما يشيب لهولها الولدان، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، ويبين أننا أمام خيارين: النجاة بالعودة لكتاب الله، وجعله أساس تشريعاتنا، وأساس لكل حركة من حركاتنا في الحياة، وبذلك نحمي أنفسنا من كل الخلافات، أو البقاء على حالة التفرق والتنازع والتناحر، وما تؤدي إليه من نهب لثرواتنا، وضياع لأوطاننا، وإزهاق للأرواح البريئة...

ويلي المقدمة الطويلة خمسة عشر فصلًا تبدأ بالتكليف الإلهي، وتنتهي بالخلاصة، وسنتابع كل فصل من الفصول بإطلالة سريعة ثم رؤية لنا فيما نجحنا في تلقيه من هذا البحث:

الفصل الأول:

التكليف الإلهي: استشهد فيه بنصوص أكثر من ثلاثين آية تؤكد أن الرسالة الإلهية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، هي آيات القرآن الكريم التي يجب أن تصل إلى الناس، ولم يكلفه إلا بهذه الرسالة، وأن عليه أن يبلغها كما أوحيت له، وهي أمانة أؤتمن عليها وحرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يؤديها، فوصلتنا نصوص القرآن الكريم كاملة كما أوحيت للرسول صلى الله عليه وسلم دون زيادة أو نقص.

إن رسالة الإسلام للناس كافة في كل زمان ومكان، تهدي إلى الخير والصلاح، وتخرج من الظلمات إلى النور، وتنادي بنشر الحق والعدل والسلام، وهي مبادئ إنسانية لا يختلف حولها عاقلان، وإن الأخذ من المعين المقدس ينقلنا من التفرق إلى الوحدة، ومن التخلف إلى التقدم، ومن الضعف إلى القوة، وعلى جميع المثقفين والعلماء أن يعرفوا أسباب ترك منهج الله الواضح في القرآن، ونتائج هذا الهجر الكارثية التي عانينا وما زلنا نعاني منها، وكيف نجح أعداؤنا في إبعادنا عن الخير العميم في التمسك بالقرآن الكريم، وتطبيق كل ما جاء به دون توانٍ أو تواكلٍ أو استناد على ما سواه مهما كان.

الفصل الثاني:

أركان الإسلام بين الاختزال والاستغفال: وفي هذا الفصل يضع الباحث أيدينا على أصل الداء، وكيف تحول الدين إلى أركان شكلية، فاختصرت أسس الإسلام في خمسة أركان، وصارت غاية لا وسيلة، فمن يشهد ألّا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة ويحج البيت، صار مسلمًا كاملًا واستحق الجنة، وإن كذب، وسرق، وقتل، وخرب، وأرهب الناس؛ فكيف تحولت

الوسائل إلى غايات، وكيف تم اختصار الإسلام في هذه العبادات الخمس التي هي وسائل تهدي الناس إلى الحق والخير والعدل، فعلى المسلم أن يؤدي تكاليف العبادة ويعمل صالحًا، ولا يوجد نص قرآني يرتب هذه العبادات ويذكر أنها أركان الإسلام، إن اتباع منهج الإسلام الذي ينظم حركة الإنسان وتعاملاته إذا لم تؤد العبادات إلى انضباطها كما بين الله في كتابه العزيز، فغير المسلم الذي يكف الأذى، ويعدل بين الناس، ويفعل الخير، ويسلم الناس من لسانه ويده، هو أفضل من المسلم الملتزم بالعبادات المقصر في المعاملات.

لذلك يجب استنباط أركان الإسلام الأساسية التي تنطق بها نصوص القرآن الكريم وتجعل المسلم مستقيمًا في عباداته ومعاملاته وفق المنهج الإلهي الذي يرتقي بكل من التزم به، وحافظ عليه...

• الكتاب يؤكد على حقيقة وجوب التركيز على النص القرآني فهمًا وتنفيذًا لكل الأوامر التي وردت به، وأن يكون المرجع الوحيد للتشريعات التي ينصلح بها حال العباد والبلاد

الفصل الثالث:

عناصر الرسالة: واحد وعشرون نصًا قرآنيًا تبين عناصر الرسالة الإلهية: خطاب الهدى، وحدة الرسالة، التكليف الإلهي، التذكير بالقرآن، أسلوب الدعوة، وحدة البشر، العدل الإلهي، حرية الاعتقاد، إن الحكم إلا لله، لا وصاية في الدين، الله هو الحكم، لا مبدل لكلماته.

الفصل الرابع:

أركان الإسلام، تنقسم إلى ثلاثة محاور:

الأول: العبادات الخمس المشهورة إضافة إلى الإيمان، والتأمل.

الثاني: منظومة القيم والأخلاق، ست قيم مستنبطة من آيات القرآن الكريم:

-بر الوالدين: ٥ نصوص قرآنية.

-العلاقات الزوجية: ١٩ نصًا قرآنيًا.

--حقوق اليتامى: ٣ نصوص قرآنية.

-ضوابط الميراث: ٥ نصوص قرآنية.

- -الإنفاق في سبيل الله: ٢٥ نصًا قرآنيًا.

--سلوك المسلم: ٣٣ سلوكًا قويمًا، وستة نصوص قرآنية.

الثالث: المحرمات ٢٢ محرمًا، و٨ نصوص قرآنية.

الفصل الرابع:

رسالة الإسلام؛ رسالة إلهية كريمة للناس كافة؛ لتخرجهم من الظلمات إلى النور، فيسود الأمن والسلام حين تسود قيم العدل والحرية والإنصاف. وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ الرسالة فأبلغها، وأمر المسلمين أن يعتصموا بدين الله ولا يتفرقوا، وقد فرطوا فيما يعصمهم من الزلل وهو القرآن الكريم، وتاهوا في روايات وتفصيلات، ما أنزل الله بها من سلطان، وصدقوا روايات كثيرة سوقها كثيرون من الأعداء، ولأن لكل أمة ما يصلح شأنها في الحاضر والمستقبل، فقد كانت الرسالة الإلهية للمسلمين تعتمد على:

-وجوب تنفيذ الأوامر الإلهية قولًا وعملًا، والاقتداء بالرسول الذي نجح في أن يطبق الرسالة الإلهية ويكون قدوة في ذلك (من ١ إلى ٥ سورة البقرة).

-تحدد الرسالة الإلهية العلاقة بين الأمة الإسلامية والأمم الأخرى، فلكل شرعة ومنهاج، ووجوب التعامل مع الناس وفق ما أمر الله به (٤٨ المائدة).

-التكليف الإلهي للرسول يأمره بإبلاغ أوامر الله ونواهيه وأحكامه للناس، ومن سمع وفهم وطبق ما أبلغ من أوامر الله، فاز في الدنيا والآخرة، وهنا يتضح وجوب الدعوة بما أمر الله به رسوله، وما وصلنا من الرسالة الإلهية وهي القرآن الكريم (المائدة ٦٧).

-بين الله سبحانه وتعالي المهمة والعناصر والمنهج وأسلوب الدعوة لاعتناق الإسلام (١٢٥النحل)؛ حيث الحرية كاملة في أن يعتقد الإنسان ما يشاء، وأن الله وحده من يحاسب العباد، تحديد مسئولية الرسول والحدود التي يجب ألا تتجاوزها الدعوة (سبعة عشر نصًا).

-إن كل ما رأيناه ونراه من ممارسات على الأرض تبتعد كل البعد عن الرسالة الإلهية التي جاء بها الإسلام، إنما هي حصاد هجر القرآن الكريم الذي يحث على التحلي بمكارم الأخلاق، والتمسك بالعدل، والحرية، وإعلاء كلمة الله السلام، إن الدعوة الملتزمة بالرسالة الإلهية هي الدواء الشافي من كل أمراضنا المعاصرة، فهي دعوة تجمعنا، وتقوينا، وتجعلنا موضع احترام.

الفصل الخامس:

الخطاب الديني؛ خطاب اعتمد على

• الخطاب الإلهي يكشف زيف الخطابات الدينية التي مزقت المسلمين إلى عشرات الفرق يكفر بعضها بعضًا، ويهدر بعضها دماء بعض

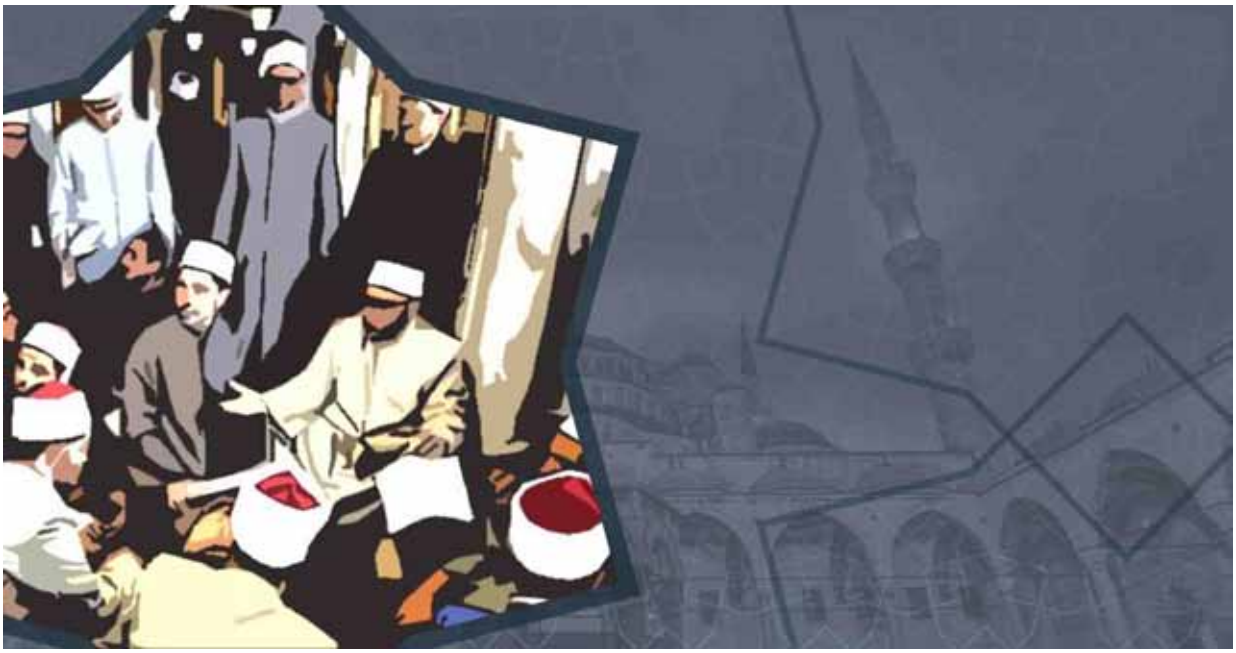

روايات، ورؤى لبعض المشايخ، والعلماء، فيما وصل إليهم من علم حول النصوص والروايات، وهذا الخطاب تسبب في تناحر وتنازع امتد لقرون عديدة، فقد أعلى بعض الأتباع أقوال شيوخهم لدرجات تفوق نصوص القرآن الكريم، التي يؤولونها وفق ما يعن لهم من مصالح وأغراض، وقد أدت هذه الخطابات الدينية المتعددة إلى إغراق المسلمين في بحار من دم، وجعلت بعض الفرق تستمتع بالقتل والنهب وارتكاب الفظائع، وتحت راية كتب عليها لا إله إلا الله.

-لقد أقنع البعض أن النص القرآني نص لا يفهم مقاصده إلا المتبحرون في العلم برغم كونه أحسن البيان، وأن التفكيرفيه وتأمله وتدبر آياته فرض عين.

-لقد أفقدوا الإسلام عدله وإنسانيته وتسامحه، بما يؤولون به آيات القرآن من تأويلات أسطورية بعيدة عن الرسالة الإلهية السامية، فكل الناس سواسية لا ميزة لأحد على أحد إلا بالتقوى، وهي أمر لا يعلم حقيقته إلا الله، وهو وحده من يحاسب من خلق على الاعتقاد؛ لأن الاعتقاد محله القلب، ولا يعلم ما في القلوب إلا الله، الذي يحذر الجميع من عصيان أوامره...

الفصل السادس:

الخطاب الإلهي؛ إن الخطاب الإلهي يوجهه الله إلى عقل الإنسان الذي ميزه به عن باقي مخلوقاته وهو مناط التكليف، يوجهه ليتدبر آيات الله، ويستوعبها، علامات تهدي وترشد، وتقوده لسعادة الدنيا والآخرة.

ويتأكد أن الله قريب منه يستجيب لدعائه، وعليه ألا ييأس من رحمة الله، فهو يغفر الذنوب جميعًا إلّا أن يشرك به، وعلى الإنسان أن يدرك مرادات الله من خلقه، ويستقيم في حركته في الزمان والمكان، ويحافظ على حقوق الله، وحقوق الناس، ويلتزم بما يرتقي به إنسانيًا، ويرضي الله، فيسعد في دنياه وأخراه، وعلى كل إنسان أن يدرك أن نجاته في اتباع منهج الله الذي تتضح معالمه في القرآن الكريم، ولا يمكن أن يستوي كلام الله، وكلام البشر، في روايات لا توجد ثقة مطلقة في صحتها، ويطرح عدة تساؤلات حيوية:

- لماذا تمت مخالفة أمر الله للناس بالتدبر في آياته، وسمح للروايات أن تطغى على الآيات؟

- لماذا الإصرار على إغفال القرآن الكريم عند استنباط التشريعات التي تنظم علاقات الناس، رغم أن القرآن الكريم أرسى قواعد العدل والمساواة واحترام حقوق الإنسان، وحرية الاعتقاد، وحرية العمل، وحق الحياة الكريمة، وتحقيق الأمان للفرد والمجتمع دون تمييز؟

-لماذا الدفاع المستميت عن الروايات، كلما ذكرت آيات القرآن الكريم، والتي لا يمكن أن يجادل عاقل في كونها الأعلى، والتي تصلح شأن الفرد والمجتمع، وتقوم المفاهيم الضالة التي شوهت سماحة الإسلام وعدله؟

-لماذا لم يدرس علماء الأمة الأحداث الكارثية التي مرت بها، وأسبابها، يضعون منهجًا قويمًا لمنع تكرار الكوارث التي استمرت حتى الآن؟

-كيف سيرد علماء الأمة على اتهام الرسول لهم أنهم هجروا القرآن؟

-لقد اكتمل الدين بنزول آخر آية، فماذا تطلبون بعد ذلك ألا تكفي آيات الله لتهدي

الناس، وهل هناك أفضل منها للهداية.

-إن الخطاب الإلهي للعقل الإنساني ليتفكر في مخلوقات الله، وفي آياته ويصل إلى اليقين الذي تستقيم به حياته، ويحرره من العبودية لغير الله، ومن الخضوع للروايات التي تتعارض مع العقل والمنطق، العقل هو الذي يفرق بين الحق والباطل، ويكشف الحقيقة والوهم، وكل الجماعات الهدامة التي تستحل الدماء والأعراض والأموال، تبدأ بتعطيل العقل، وتقديس شيوخهم، وتوجب السمع والطاعة دون أي تفكير، وتغفل عن عمد أنه لا إكراه في الدين، ولا وصاية من أحد على حرية الاعتقاد، ولم يكلف الله أحدًا أن يجبر الناس على الاعتقاد حتى الرسول صلى الله عليه وسلم...

الفصل السابع:

مصادر الخطاب الديني، أمثلة الفرق بين الخطابين.

عشر روايات لأحاديث وأقوال وتناقضها الصارخ مع آيات القرآن الكريم،

وإغفال الإرهابيين آيات القرآن الكريم، واتخاذ هذه الروايات ذريعة لقتل الناس واستحلال أموالهم وأعراضهم، وارتكاب الفواحش...

-لقد شوهوا على الأرض دين الرحمة والحق والعدل والحرية والسلام، ولم يتدبروا النص المقدس الوحيد الذي لم يعط حق تكفير أي إنسان حتى للأنبياء...

الفصل الثامن:

الانقلاب على الكتاب؛ سرد أكثر من عشرين حادثة خلاف وقتل، القاتل مسلم والمقتول مسلم، بدءًا من الخلاف بين المهاجرين والأنصار على من يتولى الحكم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحتى قتل السلطان العثماني سليم الأول لشقيقيه اللذين اعترضا على عنفه، وإسرافه في القتل...

وظهور عشرات الفرق والمذاهب والجماعات التي تبنَّى كثير منها العنف، وكفَّروا من لا يواليهم، واستباحوا ما حرم الله، ورفعوا راية لا إله إلا الله، ولم يتدبروا ما ورد في كتاب الله من رحمة وعدل ومساواة وحرية وسلام.

الفصل التاسع:

الخطاب الإلهي للناس كافة؛ أكثر من عشرة نصوص تبين كيف نقل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة الخالق سبحانه وتعالى إلى خلقه رحمة بهم ورأفة، ليتدبروا ما جاء فيها من توجيهات تسعدهم في دنياهم، وترضي خالقهم، فيجازيهم بسعادة دائمة في أخراهم، لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في الالتزام بالتوجيهات الإلهية، فيعبد الله الواحد، ويخشى الله، ويعمل صالحًا، ويستبق الخيرات، ويعامل الناس بالحسنى، مؤديًا تكاليف العبادات، وملتزمًا بالقيم النبيلة التي يدعو إليها القرآن الكريم، من: رحمة، وعدل، وإحسان، واحترام حقوق الناس، وتأدية الأمانات، والتي يجب على المسلم الصادق في إسلامه أن يلتزم بها قولًا وعملًا...

الفصل العاشر:

الخطاب الإلهي للمؤمنين؛ يوجه الله خطابه للمؤمنين بعدله وبإحسانه ليحميهم من شرور أنفسهم، ويرشدهم

• الباحث وضع أيدينا على أصل الداء، وكيف تحول الدين إلى أركان شكلية، فاختصرت أسس الإسلام في خمسة أركان، وصارت غاية لا وسيلة

إلى ما يحفظ إيمانهم، ويحثهم على عمل الخيرات، ويحذرهم من اتباع الشيطان، يعلمهم شريعته، وما تدعو إليه من: رحمة وعدل وإحسان، والمحافظة على الحقوق، تحريم الظلم، وتحريم استباحة الحرمات، وتحريم قتل النفس إلا بالحق، ويعلمهم الصبر على المكاره، والاستعانة بالصلاة، والتقرب إليه ليجزيهم خير الجزاء، ويؤكد ذلك بأن أورد ٦٨ نصًا من ١٩ سورة من سور القرآن الكريم من سورة البقرة، وحتى سورة التحريم.

الفصل الحادي عشر:

القتال في سبيل الله؛ الخطاب الإلهي شمل تشريع للقتال في سبيل الله، محكوم بعدة ضوابط وردت في سورة البقرة آية (١٩٠) «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».

تشريع للدفاع عن النفس واسترداد الحقوق، والحفاظ على الأرواح والأموال والأوطان، وأورد أكثر من عشرين نصًا قرآنيًا... ولم يثبت أن أجبر الرسول صلى الله عليه وسلم أحدًا على الدخول في الإسلام.

الفصل الثاني عشر:

الجهاد في سبيل الله؛ وكما ورد في آيات القرآن الكريم ليست دعوة للاعتداء على الناس، وقتلهم، والتمثيل بهم، واستحلال أموالهم وأعراضهم، وأرضهم، بل بذل الجهد لإعلاء كلمة الحق ونشر الأمن والعدل، وبذل الجهد للبعد عن المعصية...

الفصل الثالث عشر:

هجر القران؛ إن هجر القرآن، وشكوى الرسول لربه من أن قومه هجروا القرآن، دعوة لنا لنعض عليه بالنواجذ؛ لأن هجر القرآن الكريم أدى إلى هبوط المستوى الإيماني للناس، والثقافي والأدبي وتفككهم وتشرذمهم، وصار الناس لا يتدبرون الآيات القرآنية، ويعبدون الله عبادة شكلية، دون أن يكون لعباداتهم أثر على سلوكياتهم وحركة حياتهم، فكثرت المنازعات، وأكلت الحقوق، وضاعت الأمانات. لقد التبست مسائل كثيرة على الناس، العادات والتقاليد، والروايات والآيات؛ فاختلت معايير الرحمة والعدل والسلام التي يجب أن تستمد من النص القرآني، وتترجم واقعًا عمليًا على الأرض.

الفصل الرابع عشر:

القرآن؛ تأكيد على أن القرآن الكريم وحده هو الرسالة الإلهية للناس في كل زمان ومكان، وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الرسالة وأدى الأمانة، ولم يزد من عنده عليها شيئًا، وإن هذه الرسالة الإلهية رسالة تامة كاملة لا يشوبها أي نقص، ولا تحتاج لزيادة، وأنها وحدها قادرة على إصلاح أحوال العباد والبلاد في كل زمان ومكان، قد أكدت آيات القرآن الكريم التي أوردها ما للقرآن من مكانة ودور وقداسة، وجاء ذلك في: ١٥٠ نصًا قرآنيًا من أول سورة البقرة وحتى الواقعة...

الفصل الخامس عشر:

الخلاصة؛ مواصلة التأكيد على أهمية أن يكون القرآن الكريم بنصوصه المقدسة والمحفوظة إلهيًا إلى يوم القيامة - أن يكون المصدر الوحيد الذي يتم استنباط كل ما يجعل حياة الفرد والأسرة والأمة أفضل، ويعيد

لها التماسك، والرقي والتقدم، تكرار مقصود للآيات التي تبين أهمية القرآن الكريم كمصدر وحيد تنصلح به الأحوال، ومواصلة التأكيد على أهمية إعمال العقل،

والتأمل في صنع الله كأساس من أهم أسس الإسلام، التأكيد على أن العبادات وسيلة وليست غاية، وأنها لا تنفصل عن حركة الإنسان في الحياة، وأن الدين سلوك قويم والعبادات وسيلة للوصول إليه، التأكيد على أن المسئولية تجاه القرآن وإعمال العقل مسئولية فردية، وجماعية، وأنه يجب على مثقفي الأمة أن يعملوا عقولهم لاستنباط ما يصلح أحوال الناس في الحاضر والمستقبل، والتأكيد على أن الخطاب الإلهي هو الخطاب الذي يفلح من يتأمله، ويستفيد من توجيهاته، ولا يهمل ما يدعو إليه من التزامات سلوكية من الإنسان نحو خالقه ونحو نفسه ونحو مجتمعه.

ويؤكد أن الفلاح في مخالفة كل ما حفلت به كتب القدماء من روايات لأعداء الله وأعداء الإسلام من اليهود والمجوس، فقد نجحوا إلى حد كبير في بث السموم في ثنايا الروايات والكتب التي يرجع إليها البعض فيضل ويضل الناس بها، وهي التي مزقت شمل الأمة، وأسالت أنهارًا من الدماء...

صيحة قوية نتمنى أن توقظ كل من يطلع عليها

وبعد هذه الإطلالة السريعة على كتاب من أهم الكتب التي صدرت مؤخرا نقدم للكاتب أسمى آيات الشكر والعرفان على هذه الصيحة القوية، التي سيجزيه الله عنها خير الجزاء، والتي نتمنى أن توقظ كل من يطلع عليها؛ فيوجه كل اهتمامه إلى القرآن الكريم، تلاوةً، وتأملًا، وفهمًا، وعملًا بكل ما أمر الله فيه، والانتهاء عن كل ما نهى عنه، وهو مؤمن أن هذا سيسعده في الدنيا والآخرة، وأن يُعمل عقله في كل ما حوله، وكل ما يصله من روايات بشرية يجب ألا يلتفت إليها إن خالفت نصًا قرآنيًا أو روح النصوص وما ترشد إليه، وأن يفيق المثقفون وعلماء الأمة، ويضعوا أسسًا لتجميع شملها، وإعادتها إلى مصاف الأمم المتقدمة، وأن يتتبعوا كل ما أدخله أعداء الأمة في كتبنا القديمة والحديثة، فينقوا هذه الكتب منه، ولديهم الميزان الذي توزن به هذه الروايات والكتب - لديهم نص إلهي باقٍ إلى يوم القيامة، ولا يوجد كلام لأي بشر أفضل منه، ولن نتمكن دونه من التغلب على هذه الافتراءات التي شغلتنا عن الخطاب الإلهي، وألهتنا عن إعمال العقل، وعن توظيفه فيما يفيدنا، ويجعلنا الأقوى والأكثر تقدمًا. إن هذه الدعوة القوية للعودة إلى نصوص القرآن الكريم دعوة ضرب الكاتب المثل بنفسه وأورد مئات الآيات التي سيقرأها البعض ممن يهجرون القرآن لأول مرة ويتعجبون كيف للخطاب الديني أن يخفيها طوال هذه السنوات، وهي دعوة فيها خير للجميع ففيها طاعة لله وللرسول وصلاح لكل الأحوال، وإن الدعوة لإعمال العقل والبعد عن الخرافات والأساطير، وأن تتحكم في حياتنا العقلانية والمنطق السليم. هي دعوة تجعلنا نتقدم، ونحسن توظيف طاقاتنا، ونحافظ على ثرواتنا، ونصير أمة قوية متقدمة...

لقد أجاد الكاتب في تركيزه على الدعوة لجعل القرآن الكريم أساس لكل ما يجمع ولا

• رسالة الإسلام؛ رسالة إلهية كريمة للناس كافة؛ لتخرجهم من الظلمات إلى النور، فيسود الأمن والسلام حين تسود قيم العدل والحرية والإنصاف

يفرق، وهي دعوة تتفق مع جهود مخلصة لمئات من العلماء في كل العصور، الذين اهتموا بالنص القرآني خفضًا وضبطًا، وأسسوا لحضارة عربية إسلامية سادت العالم مئات السنين، وما زال العلماء المنصفون في العالم كله وحتى الآن يذكرونهم بالخير ويثنون على جهودهم ومساهماتهم في الحضارة الإنسانية، لم يدع الكتاب إلا إلى استنباط ما يصلح أحوالنا من نص عابر لحدود الزمان والمكان هو القرآن الكريم، ويرى - وهو على حق - أن فيه ما يجعلنا ننتصر على كل شياطين الجن والإنس ممن كادوا لنا فتخلفنا عن ركب الحضارة، وما زالوا يكيدون لنا لنظل متفرقين ضعفاء يقتل بعضنا بعضًا، ويستبيح بعضنا دماء بعضٍ بنصوص تتعارض بوضوح مع النص القرآني المقدس، نصوص ما زال البعض يدرّسها ويقنع النشء بأنها صحيحة مقدسة؛ فينشأ إرهابي يستحل ما حرم الله، ويقتل الأبرياء بدم بارد، وهذا يوجب علينا أن نتحمل مسئولياتنا التي لفت الكتاب أنظارنا إليها، وأحسب أن هناك كثير من الكتب لعلماء مخلصين يمكن أن تؤطر لقيم حياتية إنسانية مستنبطة من القرآن الكريم تقود الجميع إلى التماسك والتقدم بقيم الرحمة والحق والعدل والإنسانية التي يزخر بها النص المقدس الوحيد الذي بين أيدينا... لقد وفق الله زيد بن ثابت فجمع القرآن بمنهج علمي سبق فيه المناهج العلمية بعشرات السنين؛ حيث فرض الفروض واختبار صحة الفروض والوصول للنتائج، كان رضي الله عنه يحفظ الآية، ويجدها فيما كتبه الصحابة، ويجد شاهدين على صحتها فيثبتها. والله سبحانه يوفق عباده الخلصين فيعلو صوتهم بالدعوة إلى العناية بكتابه تأملًا وتلاوةً وعملًا بما شرعه لنا. نسأل الله عز وجل التوفيق والسداد لما يصلح حال العباد والبلاد.

دراسة

٥ استراتيجيات أساسية هكذا يسقط الشباب في فخ الجماعات

ماجد قروي
باحث تونسي في علم الاجتماع

تعتمد الحركة السلفية كما هو الحال بالنسبة إلى باقي الحركات الاجتماعية آليات عمل للاستقطاب والتأثير، استراتيجيات منظمة وهادفة وتعمل بشكل تطويعي وترميقي على أدلجة وأسلمة الإحباطات الشبابية. آليات تبين ملامحها الكبرى من خلال ملاحظات ميدانية ومعايشة لعديد من فاعلي هذه الحركة الاجتماعية لسنوات عدة علاوة على توظيف تقنيي المقابلة والاستمارة اللّذيْن شملا عيّنة قدرها ١٢٠ شابا سلفيا من قرية سيدي علي بن عون التونسية.

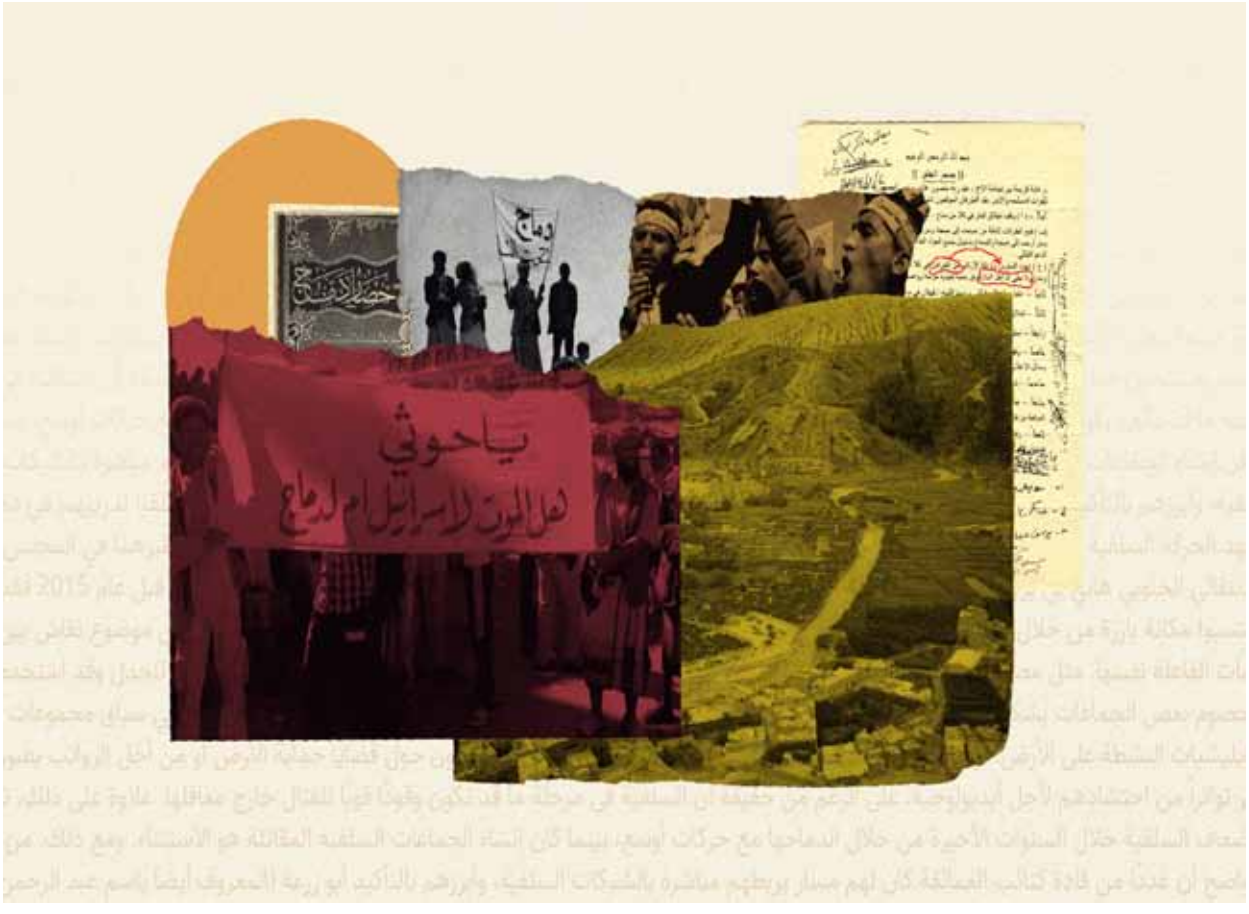

• **استراتيجية التعبئة:**

تتمثل التعبئة في استغلال كل الموارد المتاحة بهدف إحداث التغيير وتوجيه أنماط التفكير والسلوك، تراهن هذه الاستراتيجية بالأساس على الفضاء العمومي بصفته فضاء يعج بالناس، وتهدف التعبئة التي تعتمدها الحركة السلفية إلى استقطاب الفئات الشبابية، وبالتالي تعزيز مواردها البشرية التي ستمكنها من إحداث الحراك ومن آليات التعبئة المناشير المتنوعة، وهي الآلية الأساسية التي لمسنا حضورها الكثيف، حيث تنطلق المحاضرات وتختتم بتوزيع مناشير وكذلك تزامنا مع الاجتماعات الشعبية في الشارع يقوم متطوعون من الحركة السلفية بتوزيعها على الحاضرين ومن خاصياتها الشمولية، حيث تلخّص تقريبا الأفكار الرئيسة للحركة السلفية وقبول هذه الأفكار ينجر عنه انشداد الشاب في مرحلة أولى للحركة السلفية ومتابعة أنشطتها والسعي إلى بناء علاقات مع فاعليها لفهم المزيد من أسس الدين على منهج السلف الصالح وفيما يلي جملة من المناشير التي انتقيناها من جملة ما يقوم السلفيون بتوزيعها.

غير أن الحركة السلفية لا تقتصر على المناشير، بل تدعمها باجتماعات شعبية وخيمات دعوية تعقد بصفة مستمرة في الشوارع وأمام المعاهد والمدارس، حيث يسهل الوصول إلى الناس والاقتراب منهم. وعادة ما تصحب هذه اللقاءات أناشيد دينية ذات كلمات مخصوصة تدعو للجهاد، وتتباكى على حال الأمّة الإسلامية من عصيان لأوامر الله ومخالفة للسلف الصالح. وكمحاولة للتأثير في الحضور، يحضرون فتيات يسمونهنّ «متبرجات» ويطلبون منهنّ ارتداء النقاب أمام الحضور وسط وابل من التكبير ويقولون: «إننا سعداء بانضمام أخوات إلينا إلى الطريق الحق والمستقيم» فتجري عمليات التفاعل التي تتعقد مدلولاتها ويتداخل فيها الديني مع الاجتماعي بما يعنيه من حب ظهور ورغبة في لفت الانتباه، فتتقدّم فتيات أخريات للمنصة ويقلن: «نود أن نعود إلى الله ونتوب» فيشيدون بذلك وهكذا...ويضاف إلى هذه الآليات العمل على استغلال شبكات التواصل الاجتماعي والأنترنيت بصفة عامة في إطار ما يسمونه بالجهاد الإعلامي الذي يرتكز على المبادئ التالية:

تهدف التعبئة التي تعتمدها الحركة السلفية إلى استقطاب الفئات الشبابية، وبالتالي تعزيز مواردها البشرية التي ستمكنها من إحداث الحراك ومن آليات التعبئة المناشير المتنوعة

- نشر عقيدة التوحيد والجهاد والدعوة إليها.
- كشف الشبهات فيما يخص قضية الجهاد المعاصر ودحض كل الفتاوى المخالفة ممن يسمونهم علماء السلاطين.
- التحريض على الهجرة والجهاد.
- التحريض على الإنفاق في سبيل الله.
- نصرة المستضعفين وإبراز قضاياهم ومعاناتهم.
- التخلص من التبعية للغرب الذي يعتبرونه كافرا في كل مجالات الحياة.
- إرباك العدو وقيادة حرب نفسية شديدة لكسر معنوياته وإحباطه.
- كشف حقيقة ما يسمونهم بالطواغيت والكفر بهم وبقوانينهم الوضعية.
- تعبئة الأمة لمساندة من يسمونهم بالطائفة المنصورة وتجييشها لمرحلة الخلافة على كافة الأصعدة.

• استراتيجية الظهور والتخفي:

لا تتحدد هذه الاستراتيجية في المطلق وبمعزل عن المناخ الاجتماعي والسياسي؛ فالسلفيون يتقنون «فن الظهور والتخفي» ويقدرون الظروف الملائمة لذلك آخذين في الاعتبار إمكاناتهم الذاتية، فمن خصائص نشاطهم الحراك الهادئ والبطيئ أي سياسة «الزحف الهادئ» بتعبير عالم الاجتماع الإيراني آصف بيات في فترات الاستقرار السياسي والأمني، ويظهرون فجأة على الساحة في فترات التوتر والفوضى على نحو يبدو لغير الاختصاصي أنها وليدة اللحظة والساعة، هم إن شئنا محاربون غير نظاميين يجتمعون كلما سنحت الفرصة ويتفرقون بانعدامها. هذا الرأي يترجمه الرسم البياني التالي،

• استراتيجية التعبئة: تتمثل في استغلال كل الموارد المتاحة بهدف إحداث التغيير وتوجيه أنماط التفكير والسلوك

والذي يظهر أنّ سنتي ٢٠١١ و٢٠١٢ هما السنتان اللتان شهدتا نشاطا مكثفا للحركات الجهادية التي نجحت في استقطاب كم هائل من الشباب وحتى في خارج تونس، لأنّ الخارج يتأثر بالداخل ولأن الحركات الجهادية عالمية ويحمكها منطق الترابط العضوي. ويظهر الرسم البياني كذلك انخفاض معدّلات الانخراط في الحركات الجهادية بداية من ٢٠١٣ أي في فترات الاستقرار النسبي مقارنة بفترات الفوضى التي عقبت الثورة.

وما يساعد السلفيين على التخفي في سيدي علي بن عون مثلا تمركزهم في حي على هامش المدينة يسمى «حي الملاجي»، حيث لا توجد أرقام منازل، والجيران تربطهم علاقات حميمية، إضافة إلى ما يتميّز به الحيّ من أسلوب خاص في الحياة تطبعه اللاّرسمية التي تميّز محيطهم، حيث تجمع أفراد الحي علاقات تضامن قوية ما يجعل من حماية أبناء الحي مهمة شريفة حسب تصورهم لذلك وبعد الثورة التونسية بأشهر، قام عشرات الشباب السلفي بحملات أمنية في الحي ولاقوا استحسانا وقبولا من المتساكنين، بل وأصبحوا يتعاملون معهم كسلطة رسمية كافلة للأمن والاستقرار، كيف لا وهم يقومون بمحاسبة مرتكب الخطأ في فترة زمنية لا تتجاوز نصف ساعة في مقابل التعقيدات البيروقراطية التي تقوم بها السلطات الرسمية. الشباب السلفي من هذا المنطلق ورغم هامشيته أوجد في إطار انخراطه في الحركة السلفية استراتيجيات متناسبة مع امكاناته الذاتية على نحو جعله يقوم بوظيفة سامية في الحي، وهي حفظ الأمن. من هذا المنطلق يستطيع العديد من الشباب التكيف مع كل الظروف واستثمارها على نحو يجعله فاعلا ومؤثرا وقتما تضعف الدولة وتتهاوى مؤسساتها والتخفي في حال استعادتها عبر آليات من ضمنها تغيير المظهر واللباس والعودة للحياة العادية حتى أنّ أحد الشباب السلفي بمدينة بنعون بعد أن عرف بتسلفه وتشدد مواقفه في الفترة التي تلت الثورة أصبح معارضا شديدا للفكر السلفي بعد القبض على الكثير من زملائه وأصبح يتعمد الرفع من

• استراتيجية الظهور والتخفي: من خصائص نشاط الجماعات السلفية الحراك الهادئ والبطيئ، ويظهرون فجأة على الساحة في فترات التوتر والفوضى

مستوى صوته في المقاهي عند نطق كلمات مثل «السلفيين داخلين في حيط» بملفوظه الشفوي حتى يوهم الناس بأن لا علاقة له بهم وبالتالي تجنب وشايتهم التي قد ينجر عنها ملاحقات أمنية وسجن. يبدو التسلّف إذن غير راجع إلى قناعات دينية، بل إلى بحث عن الاعتراف و«التباهي». وفي مقابل ذلك، فإنّ الدولة كفاعل اجتماعي مركزي في المعادلة الصراعية ورغم إخضاعها الحقل الديني للرقابة وتحكمها بالخطاب الديني من خلال مؤسساتها طيلة عقود عجزت عن اجتثاث أنماط التدين المخالفة للدين الرسمي ذلك أن هناك «سيرورة اجتماعية للتدين» على هامش المؤسسات الرسمية تتشبع من مرجعيات مختلفة كالقنوات الفضائية والأنترنيت والمؤلفات الوهابية، وهي سيرورة يصعب رصدها أو التحكم بمفاعيلها، لأن أشكال التدين ثمرة ضغوطات بنيوية بتوتراتها والتباساتها، وما صمت الشباب السلفي في العقود الماضية إلاّ «عقد صمت هش» تحكمه الطاعة والولاء للدولة ظاهريا ولكن هذا العقد قد يلغى بتوفر الظروف الملائمة لذلك. بمعنى آخر، فإنّه وحتى في فترات الستاتيكا الاجتماعية، للأفراد اهتمامات مكبوتة وغير معلنة تنتظر الفرصة للظهور إلى السطح أي المجال العام. وقد بينت دراستنا أن أشرطة الفيديو والكتب الدينية مصدران رئيسيان ومرجعية للشباب السلفي قبل الثورة حيث يمثلان سويا ٥٦ بالمائة من مجموع الاحتمالات. أمّا بعد الثورة فقد حافظ الشباب على نفس المرجعيات رغم التراجع النسبي لأشرطة الفيديو التي أصبحت مرجعية ثالثة بعد شيوخ الدين السلفيين، ويفسر ذلك بهامش الحرية الذي انجر عن الثورة وكذلك اتساع نشاط الحركة السلفية وانتشارها على صعيد عالمي ورجوع بعض الشيوخ السلفيين للنشاط بعد أن كانوا إما في المنفى أو في السجن أو تحت الرقابة الأمنية المشددة، وفيما يلي أهم الكتب التي ذكرها السلفيون في إجابة عن سؤال استمارتنا المفتوح:

السلفيون يتقنون «فن الظهور والتخفي» ويقدرون الظروف الملائمة لذلك آخذين في الاعتبار إمكاناتهم الذاتية، فمن خصائص نشاطهم الحراك الهادئ والبطيء

وعودا على ما سبق تحليله، فإنّ للشباب السلفي ضروبا عدّة من المناورة تمكّنه من التكيّف مع مختلف المتغيرات الاجتماعية والسياسية وله من الإمكانات ما يمكّنه من النشاط، إما في الخفاء أو في العلن ما يفند الرأي القائل بأن السلفيين وليدو الثورة والحرية، فهؤلاء الشباب يناورون ويترصدون ويخططون ويجيدون فن المفاوضة، ويتراجعون تكتيكيا ويختفون ومن ثمة العودة الى الساحة إذا سمحت الظروف الأمنية والسياسية

• استراتيجية الانتقاء:

تمارس الحركة السلفية الكثير من الانتقاء في التعامل مع النص الديني إذ تركز اهتمامها على الآيات والروايات التي تخدم رؤاها إلى حدّ يظهر للشاب أن ما تتبناه هذه الحركة هو صلب الدين وجوهره، حيث يغلب على مجالسهم الكلام على آيات الجهاد والقتال الذي يعتبرونه عماد الدين والكفيل بالتغيير، وهو قوام الحركة

السلفية وتحديدا الشق الجهادي الذي يتبنى التغييربالعنف المسلح. يقول (م. ص، ٢٢ سنة) في هذا السياق «إنّ مجد الأمة ونصرها لا يكون دون المرور فوق جماجم الظالمين» كما يعتبرون التخلي عن هذه المبادئ خذلانا ومخالفة للدين واتباعا لأهواء الغرب والأنظمة العميلة ويضيف الشاب نفسه: «إنّ ما يسمّونه اعتدالا هو أحد البدع الدخيلة على الدين وهو صنيعة من صنائع أمريكا التي تريد تجنب بطش شباب الأمّة وثأرهم»، بهذا المعنى هم يقرؤون في النص ما يريدون قراءته من منظور إيديولوجي عقائدي وبصورة محض ذاتية على نحو فوضوي يتعسف على القرآن ويخرج الآيات من سياقها العام دون فحص أو برهان، وما يزيد الأمر تعقيدا أنّ هؤلاء يتعاملون مع النص الديني ككيان متعال عن الواقع ويحيى بمعزل عن صيرورته التاريخية، ويطالبون بتطبيقها كما هو الحال في بيئتها الأصلية الأولى، رغم العوائق الأنطولوجية التي تحول دون التماهي مع الأصل واستعادته، وإن لم يكن فالنبذ للحياة والدهر بدل فهم النص الديني ومراجعته.

انتقائية أخرى تقوم بها الحركة السلفية لتبرير مواقفها في معاداة النظام الحاكم، وهي التركيز على جانب الحدود والمبالغة في الإتيان عليها إذ أضحت الحدود هي الشريعة الإسلامية هذا ما يجعل التجربة الروحية مفرغة أو مجوفة لصالح بنيات صورية أو شكلية؛أي أنّ البعد الهووي يصبح متضخماً في جانبه الشكلي، لا في موضوع التجربة الروحية، بل في صورة التمثل، ما أدى إلى تكوين أبعاد هوويّة مزيفة عن النص الديني بمعنى أنها لا تتعدى الشكليات إلى المضمون؛ بمعنى أننا انتقلنا من الرؤية التي يصنعها النص إلى الرؤية التي يصنعها الشخص، والهويّة ليست موضوعاً للنص بقدر ما هي موضوعا للشخص فأضحت هذه الرؤية الشخصية عاملا من عوامل معاداة مؤسسات الدولة، وهو ما لمسناه في قول (ن.و ٢٣ سنة) «هذه الدولة لا تطبّق شرع الله لذلك نعتبر حاكمها طاغوتا. أين الحدود التي أتى بها القرآن لو قامت الدولة بقطع يد السارق لما بقي سارقون؟

من هذا المنطلق أصبح النصّ الديني يتشكل حسب مقتضيات الحركة الاجتماعية وأهدافها، وهي إعادة تكييفللنصّ الديني جعلت من الدين أديانا وكل دين يحمل رؤى تخدم الحركة والجماعة التي

• استراتيجية الانتقاء: الحركة السلفية تمارس الكثير من الانتقاء في التعامل مع النص الديني إذ تركز اهتمامها على الآيات والروايات التي تخدم رؤاها

تتبناه، وبذلك طغى التأويل الذاتي على التأويل الموضوعي وهو ما جعل الشاب في حالة من الارتباك والشكّ وعاجزا عن الاختيار بين دين معتدل ودين أصولي ودين حداثي... لكن الشاب أمام مشكلاته المأزومة وأمام سعيه إلى التغيير السريع وتشخيصه للوضع تبين أنّه لا سبيل إلى التغيير الآني والسريع لمشكلاته على اعتبار الأزمات التي تعيشها الدولة ما يجعله يميل إلى اختيار الطرف الذي يتبنى التغيير الجذري، ويزلزل جميع البنى الاجتماعية والسياسية التي حالت دونه وتحقيق أهم حاجياته المادية والاجتماعية عبر العنف المقدّس الذي يجد مبرّراته دوماً في النص الديني إلى حد يكون فيه العنف استجابة لأمر سماوي، وهو ما تحرص الحركات الجهادية على إظهاره في نسق متكامل في النص القرآني أو الحديث النبوي أو الأحكام الفقهية أو النصوص التاريخية وكتب السيرة والمغازي. ذاك ما يفسّر تصلب العديد من الشباب في الدفاع عن الجهاد والمجاهدين بأقوال مختلفة منها «أنصار الدين والفرقة المنصورة»؛ بمعنى أنّ الحركة السلفية وحسب الأهداف التي ترسمها، تطوع النصّ الديني لخدمتها، فعندما رفعت شعار تونس أرض دعوة أوجدت الآيات والأحاديث والقصص التي رواها القرآن ومنها صبر موسى على فرعون وما إن غيرت شعارها حتى أوجدت له مصطلحات تتناسب معه ومنها «الجهاد ضد الطواغيت أعداء الله» بل وجعلوا من الجهاد فريضة.

تمارس الحركة السلفية الكثير من الانتقاء في التعامل مع النص الديني إذ تركز اهتمامها على الآيات والروايات التي تخدم رؤاها إلى حدّ يظهر للشاب أن ما تتبناه

هذه الحركة هو صلب الدين وجوهره

يتبيّن لنا مما سبق، أنّ المقدّس الديني عند الحركة السلفية وتحديدا الشق الجهادي لا ينفصل عن العنف، بل يمكن القول إنّ ثمّة تلازماً بين المقدّس الديني والعنف. هذا التلازم امتداد للوليمة الطوطمية التي كانت تقام بهدف تمتين صلة الجماعة بطوطمها عبر قتل الطوطم والتهامه، حيث يستمرّ وجوده في كل عضو من أعضائها، إلى كلّ أشكال العنف المقدّس الماديّة والرمزيّة الراهنة، ثمة منطق واحد يحكم تجربة المقدّس: الاعتقاد المشترك بين الجماعة أنّ دينهم هو الدين الحقّ،وكلّ من خالفهم في عقيدتهم هو ضال ومخطئ أو كافر أو مرتدّ ويجب إخضاعه أو إكراهه على اعتناق الدين الحقّ.

وتأسيسا على ما سبق، فإنّ النص الديني أصبح خاضعا لمنطق المصلحة؛ أي يتعامل معه من وجهة نظر براغماتية من حيث أخذ ما يخدم الفكر السلفي وترك ما عداه. هذه المعطيات والمؤشّرات كلّها توحي بأنّ النّص التّأسيسي المتجلّي في القرآن صار هامشياً في العقل السّلفي، وحلّ مكانه المنتوج الثقافي، بوصفه تعبيراً وتجلّياً من تجلّيات التّفاعل الإنساني مع الظّاهرة الدينية، فحين نستجمع هذه العناصر كلّها تتكوّن لدينا رؤية مفادها أنّ التّفاعل مع النّص التّأسيسي ولّد نصوصاً موازية، وبما أنّ هذا التّفاعل انطلق من قاعدة مقدّسة صارت التّفاسير والشّروح والتّأويلات والاجتهادات توازي النصّ المؤسّس في امتلاكه الحقيقة المطلقة، ولو تأمّلنا قليلاً لوجدْنا أنّ هناك فاصلاً بين النّص والقراءة، ومن ثمّ صعوبة امتلاك الحقيقة المطلقة، وما يزيد الأمر تعقيدا تحنيط القراءات التي يقدمها السلفيون عن النص الديني لكي لا يشكك أحد في صدقيتها ويكفي فقط أن نستحضر مقولة «لا اجتهاد مع النص»، والتي تعني ضمنيا لا اجتهاد مع أفكارنا ولا اجتهاد مع قراءتنا للدين.

• استراتيجية الإقناع:

الإقناع هو أحد الوسائل الفاعلة التي لمسنا

أثرها في عملنا الميداني، وهدفها التأثير في الشباب واستقطابهم و«الإقناع هو سلوك إنساني تواصلي يستخدمه الإنسان للتأثير في الآخرين لتحقيق ما يريده منهم، فيختار الأساليب والوسائل التي تمكّنه من إحداث هذا التغيير. وبهذه الصورة يعد الإقناع اتصالا؛ أي فناً من فنون التواصل»

وبما أنّ الإقناع فنّ تواصلي، فإننا بحاجة إلى فهم العملية التواصلية بين الحركة السلفية والشباب وذلك عبر توظيف المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها سوسيولوجيا الاتصال « ويرتكز الإقناع على العناصر التالية :

- المرسل: وهو الشخص الذي يلقي الخطابات في التجمّعات الشعبية بالشوارع أو الخيمات الدعوية، ويحظى بتقدير واسع داخل الحركة السلفية ويستمدّ شرعيته الخطابية من مدى قربه من أحد مشائخ الحركة السلفية ومدى اكتسابه للعلم الشرعي، إذ يلّقب على سبيل المثال بـ «تلميذ الخطيب الإدريسي». وعادة ما يكون متمكّنا من فنّ الخطابة، وهي بمثابة خلفية لنجاح التواصل الإقناعي.

- الرسالة : ويكون مضمونها الدعوة إلى نصرة الدين والتأسف على حال الأمّة مما لحق بها من مظاهر مهانة نتيجة انتشار البدع وتقليد الغرب ودعوة الجمهور إلى الالتزام بتعاليم الدين وفق منظور الحركة السلفية وتعديد الانحرافات التي انزلق فيها المجتمع مثل الشرك وزيارة الأضرحة وكذلك موالاة الدولة التي يعتبرونها كافرة للغرب، وتسمّى هذه الثنائية «شرك القبور وشرك القصور». يرتكز الخطاب كذلك على مهاجمة النظام الحاكم وأعوانه واستحضار سير الحكّام الظالمين من قَبْلُ، كفرعون وتوعّدهم بالانتقام، ويماثل تماما بين الاعتداءات الجديدة للغرب وأمريكا وغزوات التتار لديار الإسلام. تجييش يعتمد المزج بين الماضي والحاضر بشكل إسقاطي. وبعد تعداد هذه الرسائل كلاّ أو بعضا ينتقل الخطيب إلى ذكر أساليب التغيير عبر تبيانه أهمية الجهاد ودوره في نصرة الدين وإحداث الحراك والتغيير.

- المتلقي: جلّ المتلقين للرسالة هم من فئة الشباب، إذ يتابع هؤلاء بشغف كلام

• استراتيجية الهدم وإعادة التأسيس: الحركة السلفية تسعى إلى بناء واقع جديد وفق نموذج نظري جاهز شامل لمختلف جوانب الحياة

الخطيب ويهتفون بصوت مرتفع كلّما نطق بكلمات تشفي غليلهم من «مجتمع الاحتقار» ويهلّلون رافعين أعلاما سوداء بطريقة استعراضية متحدّية للدولة والمخالفين في الرأي.

أثر الرسالة:

عندما يستقبل الشاب الرسالة ويفهمها يشعر بتأنيب ذاتي، إذ يرى نفسه مخالفا لدين الله وغارقا في المعاصي ما يجعله يؤوّل كل مشكلاته على أنها عقاب ربّاني جعله في أسفل الهرم الاجتماعي.

ردّة فعل المتلقّي:

المقدّس الديني عند الحركة السلفية وتحديدا الشق الجهادي لا ينفصل عن العنف، بل يمكن القول إنّ ثمّة تلازماً بين المقدّس الديني والعنف

تكتسي هذه المرحلة أهمية بالغة، لأنّها بواسطتها يمكن معرفة مدى تأثير الرسالة على المتلقي. وفي صورة نجاح الخطيب في إرسال رسالته تصدر عن الشباب هتافات وتكبير متتال وكأنّ بالشاب يريد أن يقول: ها نحن هنا موجودون وقادرون على التغيير وتجاوز الإقصاء الاجتماعي.

محرّكات الإقناع:

يحتاج الاقناع إلى جملة من الآليات ليكون فاعلا ومؤثّرا في المتلقّي (الشباب). لذلك عرّفه الفيلسوف اليوناني أرسطو على أنّه «استخدام جميع الوسائل الممكنة في التأثير.

الدّين:

يعدّ الدين أحد أهمّ ميكانيزمات الإقناع، لذلك يعمل الخطيب على اختيار الآيات والأحاديث الدينية التي تحمل الشبيبة على الحراك. وللدين دور مهم في شحذ همم الشباب للدفاع عن الأوطان والعقيدة السلفية، لاسيما وأنّ الدّين إحدى

المرجعيات التي يستنبط منها الكثير من الفاعلين نماذج مثالية يقيسون بها أفعالهم، وبذلك، فإنّ «القناعات الإيمانية متوفرة- أصلا- لدى الفرد، لا يحتاج المرسل خلالها إلى تأسيس إيمانات وقناعات جديدة، بل يستغلها بالنداءات الدينية وما تحمله من محفّزات وإرشادات وتوجيهات»

. يعني أنّ الإقناع الذي يوظّفه خطباء الحركة السلفية يستغل هذه القناعات الدينية الراسخة لدى الفاعلين المترسّخة عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية كالعائلة والمسجد.. عبر قبركتها وتعديلها لتتناسب مع أهدافهم التي تختلف عن قناعات الآباء والأجداد. ويوظّف الدين من خلال ثنائية الترغيب والترهيب؛ أي الترغيب بما هو تحفيز للشاب بجزاء اتباع الحركة السلفية بماهي فرقة ناجية ومنصورة ومآلها الجنّة، ويكون الترهيب عبر الإتيان على مواضيع تجعل الشباب يشعرون بنوع من الخوف من العقاب الذي سيلقَوْنَه إذا ما واصلوا اتباع مجتمع تائه في الضلالات أو طاعة دولة كافرة. ومن موضوعات الترهيب «عذاب القبر» و«علامات قيام الساعة» و«العقاب الذي لقيه الظالمون من قبل». إنّ وظيفة الخطاب السلفي تلقينُ المتديّن كيف يمارس سلطته على ذاته ثم على الآخر استنادا إلى الدين، ومن ثمة تبدأ مسيرة الإقصاء، بوصفها واحدةً من الأسس الفكرية التي يرتكز عليها الفكر السلفي، وهي ثقافة متجذرة في التاريخ الإسلامي. وحين يسترجع المرء مسار التاريخ الإسلامي يكتشف عمق الأثر الذي خلّفته ثقافة الإقصاء؛ حيث انقسم المسلمون بعد وفاة النبي محمد، ولم يفوّتوا الفرصة ليحوّلوا الرّسالة إلى سيف يشهره كلّ واحد في وجه معارضه، وصارت الجنّة حكراً على طائفة دون أخرى، ومات الإسلام النبوي، كما يحلو لبعضهم تسميته، في دهاليز السّياسة.

الصوت والجسد:

يساهم الصوت في الإقناع، فالخطيب من الحركة السلفية يتفنّن في تغيير نبرات صوته ويتوقف بين الجملة والأخرى ما يهيئ الجمهور للانتقال من معنى إلى آخر. أمّا الرفع في الصوت، فيدلّ على أنّه يناقش موضوعا مهما كتحفيز الشباب على الجهاد أو تعزيز نقمتهم على مجتمعهم أما خفض الصوت فيهدف إلى جعل الشباب يتأمل ويفهم الفكرة بسلاسة، ويتعمّد الخطيب إطالة بعض الكلمات، وهي الكلمات المفاتيح التي ينبني عليها الفكر السلفي مثل الأمّة، الجهاد، الخلافة. وقد يشدّ الخطيب الانتباه عبر أسلوب التشويق كأن يقول: «استمعوا جيدا إلى هذا الحديث أحبتي في الله، حديث يصف بدقّة ما يجري في حياة المسلمين من دمار، حديث تقشعر له الأبدان وتخشع له النفوس...» وعند تركز الأذهان على محتوى الحديث يقوله مع براعة في اختيار أمثلة واقعية شمولية، وتوازيا مع إيقاعات الصوت ونبراته يحاول الخطيب نقل مشاعره عبر البكاء أو الضحك بسخرية أو الابتسامة؛ وذلك بغية التأثير في المستمعين وشدّ انتباههم، وما يجعل المتلقين للخطاب يتحمسون أكثر هو اعتماد الخطيب كلمات تبعث الراحة في نفوس المتلقين كأن يقول: «أنتم يا أنصار الإسلام، يا أبطال الأمّة، إنّ مجلسكم الطيّب به أجر عظيم».

أمّا حركات الجسد، فهي حركات ينقل بواسطتها المرسل آراء وأفكارا تتجاوز معناها الظاهري، فحركات اليد المضمومة التي يستخدمها الخطباء بكثرة تبرز القوّة والصرامة والحزم. وما يعزّز قدرتهم على الإقناع الانسجام الكلّي لحركات الجسم مع نبرة الصوت، وهو ما يسهم في تعزيز ثقة الشباب في الخطيب وليثبت الخطيب من خلالها قوّة شخصيته وحبّه للدين واستعداده للدفاع عنه بشتى الطرق.

التصفية بالمقارنة:

تهدف التصفية بالمقارنة إلى إخراج ممارسات المخالفين على أنها في قمة الانحطاط عبر مقارنتها بنماذج أخرى، ومن ذلك مقارنة الفاعلين الذين يقومون بزيارة الأضرحة على أنهم يتبعون طقوسا شبيهة بطقوس الجاهلية إذ كانوا يعبدون الأصنام ويقدّسونها. هذه التصفية آلية و«أسلوب في الرفع من التزام الذات بالخط المستقيم، والحط من قيمة التزام الخصم» تتخذ هذه الآلية منحى المضاربة الرمزية بتعبير بيار بورديو، والتي تعني «كلّما تمكنتَ من التقليل من فكر خصمك فسينهار مجرى قيمه» بمعنى لن يصبح لممارسته معنى وتصبح دونية في نظر الشباب.

أسلوب التبسيط: لا تعتمد الحركة السلفية التعقيد فيما يتعلق بإيصال أفكارها، فيكفي أن يكفر الشاب بالدولة ومؤسساتها ويلتزم بمظهر معين حتى يصبح عضوا فيها، فهي مذهب ديني موجّه لا إلى النخبة المتمكّنة من وسائل التنظير والحجاج، وإنّما إلى أناس في حاجة إلى فهم ما يعتقدون، في حاجة إلى عقيدة بسيطة بإمكانهم إدراكها حسب إمكانياتهم الذاتية والتحدّث عنها مع الآخرين من أمثالهم، بدون أن يتيّهوا في ثنايا تعقيدات الفقه وقواعده، من هذه الوجهة يمكن القول أنّه من خلال مسألة التوحيد، فإنّ السلفية تستبطن إعادة

تشريع العلاقة بالأشياء المقدّسة من خلال ربط المؤمنين بمفاهيم بسيطة، ما دام الاعتقاد بالتوحيد عندها لا يتطلب سوى الاعتقاد بالله كما وصف به نفسه في الكتاب والسنّة من دون تأويل، كما أنّه من خلال هذه المقولة يصبح الإيمان عند السلفية وحدة كمّية قابلة للقياس، حيث يمكن في كل وقت وحين اختبار سلوكيات المؤمن وممارساته التعبدية والنظر فيما إذا كانت لتعاليم عقيدة التوحيد».

•استراتيجية الهدم وإعادة التأسيس:

تسعى الحركة السلفية إلى بناء واقع جديد وفق نموذج نظري جاهز شامل لمختلف جوانب الحياة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا. ولتحقيق هذا الهدف باتت الحاجة ملحّة إلى تبرير تصوّراتها وحشد الطاقات الشبابية وراء هذا المشروع الطامح إلى التغيير الشامل.

لذلك تسعى إلى تعميق القطيعة بين الشاب وواقعه المعيش عبر التفنّن في تصوير الواقع في صورة سوداوية تجعل الشاب ينظر إلى جميع الأمور على أنّها دونية ومخالفة للشرع، وهو ما تبيّناه في قول الشاب م. ص ٢٣ سنة: «الحياة دار فناء لا يوجد شيء يعجب أو يفرح». على أنّ البديل الذي تقدمه الحركة السلفية هو الذي يؤسس لواقع مثالي ملتزم بالضوابط الشرعية يمكّن الشاب من تجاوز جميع المشكلات التي تواجهه فور تأسيس دولة الخلافة التي ستحقق العدل وتقضي على الظلم.

ههنا تترسخ لدى الشاب فكرة سوداوية عن الواقع، وتنضوي هذه السوداوية والتشاؤمية تحت جملة شعارات كبرى، وهي الظلم، الطغيان، الفساد الأخلاقي، مخالفة تعاليم الشريعة. عندما تترسخ في ذهن الشاب هذه الأفكار تحاول الحركة السلفية استثمار هذه الطاقات الشبابية لتحقيق الحراك والتغير الاجتماعيين، وبذلك يتحمّل الشاب مسؤوليته، باعتباره طرفا فاعلا في التغيير سواء عبر الجهاد أو نشر الدعوة ليتقبّل الفاعلون هذه الأفكار، ويساهمون بدورهم في التغيير وهو ما يسمّى بالحشد الشعبي. إنّ الهدم وإعادة التأسيس أفرز استراتيجيتين للتغيير استنبطناها من عملنا الميداني: استراتيجية تغيير فوقي تنظر للدولة على أنها كائن عضوي أو بالأحرى جسم إنسان. أمّا الأولى، فترى أنّ الجِلد هو المؤسسة الأمنية والعسكرية وأنّ الهيكل العظمي هي المؤسسات المالية والمنشآت السياحية والمؤسسات الكبرى، وأنّ العقل هم الشيوخ المحلّيون الذين يعتبرونهم شيوخ سلاطين. أمّا القلب، فهو المؤسسات الكبرى وهي مجلس النواب ومؤسّستا الرئاسة والحكومة، في حين أنّ الخلايا هي المواطنون العاديون. ويعتمد هذا النمط من التغيير على التدرج بدءا من الجلد وصولا إلى الخلايا وإجبارهم على قبول التغيير والفكر السلفي. في حين أنّ الاستراتيجية الثانية في التغيير هي استراتيجية التغيير التحتي وتنطلق من الخلايا أي المواطنين وحثّهم على قبول الفكر السلفي ليتبنّوه ويصير مطلبا جماهيريا شاملا، وبالتالي تجبر مؤسسات الدولة الكبرى على قبول مطالبهم وتطبيق شرع الله؛ كلّ عضو من أعضاء الجسم عبارة عن مرحلة تقتضي تغييرا في المنهج والأسلوب.

يكشف مقالنا الوهن الذي يعيشه العالم الإسلامي، فبدل أن يتمّ استثمار الفئات الشبابية في التغيير الإيجابي الحضاري الذي رفع ماليزيا وإندونيسيا وتركيا إلى دول رائدة في العالم، فإنّ الشباب التونسي بصفة خاصة والشباب العربي صار وقودا لنار الفتنة والتقاتل والتفرقة، فمتى تهتم دولنا بقضايا الشباب وتنهض بالتعليم للقضاء على الفكر المتطرّف، الذي لا يضرّ بالشباب فحسب بل بالإسلام، باعتباره منظومة ثقافية وأخلاقية متكاملة ونبيلة؟ نحن مدعوّون في هذا السياق الحرج إلى كشف زيف الأفكار التي تحاول إقصاء الدين تماما عن المجال العام دونما اعتبار لقيم الإسلام ومبادئه بحجّة مفادها أنّ الحداثة استنبتت شكلا جديدا وحاسما للفردانية تحتل فيه ذات الفرد وهويته المفردنة مكانة مرموقة. إنّ باطن هذا القول تفيد أنّ الفرد في الماضي لم يكن سوى ذات مقهورة وتابعة للضغوطات والإملاءات، إنّ الناس في أزمنة ما قبل الحداثة كانت فرديتهم حاضرة ومتجذرة، ولكن بشكل مختلف تراعى فيه الضوابط الدينية والقيمية. فالفرد يحقق فردانيته ويصعد في السُلّم الاجتماعي بمدى التزامه بهذه الضوابط؛ فالإسلام كدين عالمي يحثّ على طلب العلم ويعتبرهُ فريضة على كل مسلم ومسلمة، لتنهض أممه وشعوبه، والإسلام يكرّم العلماء ويجعلهم ورثة الأنبياء لأنّ الحرية الفكرية كانت مقبولة. إنّ الإسلام والموروث الثقافي للحضارة الإسلامية بصفة عامة هو ما جعل الشعب الأوروبي على المضمار الحضاري، لتركض فيه بلا جامح أو كابح. فبينما كانت الحضارة الإسلامية تموج بديار الإسلام من الأندلس غربا لتخوم الصين شرقا. في عهد الدولة الأموية كانت أوروبا وبقية أنحاء المعمورة تعيش في جهل وظلام حضاري لتتحوّل الحضارة الإسلامية بفعل الفهم المغلوط للإسلام وتشويه الغرب لمبادئه واستثماره بصفة معكوسة إلى حضارة عنف ودمار.

دراسة

بين التيار التنويري والخطاب الإرهابي

حسام العادلي

قاضي، وروائي مصري،
باحث في العلوم الإجتماعية والإنسانية

تبدأ حقبة العصر الحديث فى مصر عام ١٨٠٥، وقد صادفت فى بداياته موجتين حضاريتين متتاليتين، أولاهما كانت «تنويرية» مدنية على يد رفاعة رافع الطهطاوى، بدعم من والى مصر، محمد على باشا، استقت روافدها الفكرية والعلمية من فرنسا.

بيد أنها فى الواقع لم تطرح ثمارها المرجوة كما كان مُقدَّرًا لها دعمًا من الوالى محمد على باشا، لتنتكس فى أعقاب تولية الخديو عباس الأول؛ حيث نفى رفاعة الطهطاوى إلى السودان وأغلق مدرسة الألسن وأوقف أعمال الترجمة،

ولم يسعف رفاعة الطهاوى إنجاز مشروعه الكبير فى أيامه الأخيرة قبيل وفاته عام ١٨٧٣م، بما جاد به عليه الخديو إسماعيل بعد توليه الحكم ١٨٦٣م، وصولًا إلى الاحتلال الإنجليزى لمصر عام ١٨٨٢ أيام الخديو توفيق،

لتظهر الموجة الحضارية الثانية فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وكانت «دينية تتسم بشىء من الأصولية» تبلورت على يد جمال الدين الأفغانى وأطلقها الإمام محمد عبده، لعلها ارتبطت فى بداياتها بقضية النضال الوطنى والاستقلال والحرية،

إذ كانت الثورة العرابية بتلك النكهة، ثم انشغلت بقضايا الإصلاح الدينى للحياة وشؤون الأزهر، فكان الإمام محمد عبده رمزًا لهذه الحركة التى لا يمكن تصنيفها بأنها أصولية بحتة أو تفرّع منها الخطاب الإرهابى كلية، وكذلك لا يمكننا أن ننزع منها تلك البذرة وتبرئة ساحتها تمامًا وبطبيعة الحال ليست علمانية مدنية بشكل مطلق؛

فمن المدهش فى تلك الحركة أنها أنجبت غلاة الأصوليين وكذلك دعاة الإصلاح والتنوير فى نفس الوقت!

نجد من تلاميذ محمد عبده الشيخ محمد رشيد رضا وهو الأب الروحى لحسن البنا والداعى لفكر الإسلام السياسى منذ بداياته، ونجد فى المقابل من خرج من ذات العباءة: قاسم أمين ومصطفى كامل وسعد زغلول باعتبارهم رموز الفكر التنويرى والتيار السياسى المدنى والثورى القومى،

فيما يبدو أن الشعب لم يتقبل أفكار رفاعة الطهطاوى- كما أراد هو- وتقبّل أفكار محمد عبده رغم ما تحمله من عصرنة واضحة للدين لأنها ربما جاءت مغلفة بالأصولية، وكذلك كانت شخصية محمد عبده السياسية الفريدة، وكان منهجه العلمى قادرًا على أن يدخل فى وفاضه كلا الطيفين بقدرة مذهلة، فلم يشجر بينهما نزاع فى حياته أو يحدث تعارض، فكان ورثة محمد عبده متضادين كل التضاد واستمر مسلسل التنازع مدويًا مصبوغًا بلون الدماء.

باختصار يمكننا أن نقول بأن التربة الاجتماعية كانت مهيأة لقبول الاتجاهين ولكن بقدر؛ فاتجاه قبول الأصولية والتفسير الدينى الكامل لكل مفردات الحياة كان هو الغالب على الآخر ولا سيما ما يتضمنه من رفض التجديد ونبذ التيار المدنى الذى تحول بالتدريج إلى

تغليب الوازع الدينى الوهمى- الذى خلقه الخطاب المتطرف فى بداياته- على شعبية شخصيات سياسية لامعة ذات جماهيرية طاغية مثل مصطفى النحاس ومكرم عبيد، وقد ساعد على ذلك ونمو تلك الأفكار التى قادت فى النهاية إلى تشكيل أجزاء كبيرة من اتجاهات الخطاب المتطرف هو أن القصر الحاكم وقتها كان يتدخل بالترجيح لكفة التيار الأصولى بشكل سافر. خلاصة القول أنه قد تكالبت العوامل السلبية: تعنت سلطة أحفاد محمد على باشا- بدءًا من عباس الأول حتى فاروق- وتخوفهم من فكرة التجديد وغشامتهم تجاه الخطاب التنويرى، كما أن الشعب بوعيه المنقوص بحكم التراكمات التاريخية المجحفة لتطوراته الحضارية لم يكن جاهزًا بالقدر الكافى لتقبل تلك الأفكار دفعة واحدة، ولا سيما أنها جاءت كلها بدون تدرج.

تأويلات تراثية ملفقة

قامت ثورة يوليو فوق ركام سياسى لحقبة زمنية امتدت- عملا- من ثورة ١٩١٩ حتى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢، وهو ما يمكننا اعتباره نتيجة منطقية لهزيمة حرب فلسطين ١٩٤٨، وانكسار الجيش العربى أمام العصابات الصهيونية بشكل غريب.

بعدها احترقت القاهرة، وامتدت ألسنة اللهب تطال أنقاض الأفكار القديمة التي تهدّمت وفقدت مصداقيتها طوال عقود من الصراع السياسى (الحقبة الليبرالية) بين ثلاثة أطراف رئيسية: الإنجليز، الوفد، القصر. ليخرج من تلك الحومة المهلكة طرفان أساسيان تقاسما الصراع السياسى والأيديولوجى فى العشرية التالية على قيام الثورة وهما: الضباط، الإخوان المسلمون.

فى حقبة ما قبل يوليو كان الإخوان قد تلوّنوا كالحرباء قبل أن يكشفوا عن أنيابهم السامة، اعتقد فيهم الحكام وقتها- الملك والقصر- أنهم مسالمون وطوع بنانهم قبل أن تظهر حقيقتهم، فيما استغل الإرهابيون الأوائل من الإخوان رغبة الملك فؤاد أن يصير خليفة، وصعود الوفد إلى الحكم فى ظروف انهيار الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، اتخذوا من الحالة العامة للناس مدخلا لتبديل أفكارهم، فالمزاج العام كان مؤهلا لذلك.

وأما ما بعد يوليو فقد كان الخطاب السياسى للضباط الأحرار ناجحا مع الجماهير بشكل كبير، فصار الضباط أبطالا فى نظر الشعب، أخرجوا الإنجليز، وأمموا قناة السويس، وأصدروا قانون الإصلاح الزراعى، ثم الانتصار السياسى فى معركة السويس، وغيره من الإنجازات والمكتسبات الحياتية للشعب، ولأن صفحتهم بيضاء مع الجماهير حملوهم فوق الأعناق، فكان لابد- فى ظل معركة الوجود- أن يواجههم بأى شكل ومنطق يتغير خطاب الإسلام السياسى لأنه فقد صلاحيته بعد وفاة حسن البنا، وبالذات أيضًا بعدما اختفى المحتل كعدو تقليدى تدينه خطابات التطرف وتتغذى على وجوده.

فكانت سنوات الخمسينيات مفعمة بحتمية التنظير المختلف بما ينشر بذور الديمومة الصراعية مع عدو جديد يجب خلقه وإيجاده فى الذهنية الشعبية والتواتر على مجابهته باختلاقات من القرآن والشرع والسنة، فكان المنظِّر الجديد للجماعة هو سيد قطب بعد حسن البنا، والعدو المعاصر هو الحاكم بدلا عن الإنجليز، وباسم الجهاد والإيمان معاداة القومية بدلا من الاستعمار، وهى الفكرة ذاتها التي اقتبسوها من الشيوعيين والماركسيين وصبغوها بلون الدين. فظهرت لنا مصطلحات مركّبة تحمل تأويلات تراثية ملفقة فى كتب سيد قطب تحديدًا فى: معالم فى الطريق، فى ظلال القرآن. لكى تعبر بالضرورة عن مقاصد الخطاب المتطرف المعاصر الذي تقتضيه انتهازية الظرف التاريخى، وتلك التعابير جاءت مقتضبة وقاتمة مثل: جاهلية المجتمع، الجهاد الفريضة الغائبة، الحاكمية... إلخ.

احتدم الصراع الوجودى بين الدولة ودعاة الفكر الظلامى فى جميع المراحل السياسية التالية والتى نستطيع إيرادها بشكل تحقيبى كالتالى: (حقبة ما قبل ١٩٦٧ وما بعدها، حقبة ما بعد ١٩٧٣ وتفكيك

• الصراع الوجودي بين الدولة ودعاة الفكر الظلامي احتدم في جميع المراحل السياسية

التجربة الناصرية، حقبة ما بعد اغتيال السادات، حقبة ما بعد قضية «العائدون من أفغانستان»، حقبة الثمانية وثمانين مقعدا في البرلمان ما بعد ٢٠٠٥، حقبة ما بعد يناير، حقبة ما بعد ٣٠ يونيو)، فيما أشرنا إليه نستطيع التأكيد على أن صراع الإخوان مع الدولة المصرية في جميع العهود كان سياسيًا بحتًا، لا علاقة له بجوهر التدين أو حتى فهمه الخاطئ، فالمسألة انتهازية بحتة، ولا تعدو أن تكون توظيفا للدين للوصول إلى السلطة!.

أشكال الخطاب الإلهي

يظهر الخطاب الإرهابى في قنوات متعددة، ثم يسرى عبر وسائط مختلفة لكى يصل إلى الجمهور المتلقى له، إذ اتخذ الخطاب الإرهابى في مجمله أشكالا متعددة وتنوعات تعبيرية كبيرة، بدءًا من شكلها البسيط المتمثل في الكلمة العابرة التي يلقيها آحاد الناس باعتبارها نقلا تعبيريًا مزيفًا لأفكار وآمال وطموحات، أو تتخذ شكلها المعقد الممثل في النقل المكتوب سواء من التراث مباشرةً، أو ما قد يصاحبه من إعادة قراءة معاصرة مغلوطة أو بتفسيرها الموجه لتخرج من الحيز المكتوب المنسى إلى المتداول بين قاعدة الجمهور العام، وهو ما يتكفل بنقله وعرضه ونشره القائمون على التنظيمات الإرهابية، سواء في نطاق التبعية الهرمية (الهيراركية) للتنظيم أو من يعملون بطريقة الذئاب المنفردة (أن يتخذ الشخص من نفسه بشكل منفرد بوقًا للدعاية ونشر أفكار التنظيم التي آمن بها وتشربها دون الرجوع إليه).

وفى كلتا الحالتين- العمل التنظيمى أو الفردى- تبقى هناك دوافع نفسية أو شخصية تقف وراء الترويج للخطاب المتطرف، الذي يتم بمعرفة المنظّرين أو القادة التنظيميين، بينما يقع العبء الأكبر على مَنْ لهم قدرة على مخاطبة الجمهور العام والتأثير فيه وهم الدُعاة؛ إذ يدأبون على تبسيط إحداثيات الخطاب المتطرف وإدماج أبعاده للعامة بشكل متوارى.. والأهم أن يكون سلسًا متناغمًا مع أعباء الحياة ومشاكلها وضروراتها اليومية.. ينفث أولئك الدعاة أفكارهم المصاغة بين الناس في وسائل التواصل الاجتماعى وفى المقاهى وأماكن التجمعات والجمعيات الخيرية ومن فوق منابر المساجد.. إلخ، وكل ذلك ليس غرضه الوحيد ضمّ عناصر جديدة إلى التنظيم قَدْر ما يكون بغرض كسب التعاطف أو التحبيذ والتهيئة الفكرية لأكبر قطاع من الرأى العام لمشاريع

• الخطاب الإرهابى يظهر في قنوات متعددة، ثم يسري عبر وسائط مختلفة لكي يصل إلى الجمهور المتلقى له

سياسية مستقبلية تعتمد في جزء كبير منها على مبادئ الخطاب المتطرف المروّج له، أو تزييف الوعي بالتشويه أو تغيير المفاهيم.

يجنح دعاة التطرف في الأساس إلى التأثير على «العقلية الجمعية» للشعب بسياسة السيطرة على القطيع، فهُم- القطيع- من يشكلون السواد الأعظم من العامة، وفي أحيانٍ كثيرة يتخذ الخطاب المتطرف نبرة النقد والتسفيه تجاه منهج مواجهة الفكر بالفن والدراما، مثلما يحدث في تلك الأيام من مواجهة دراما شهر رمضان، إذ يعمل الدعاة المستترون بطريقة الذئاب المنفردة، ويظهرون سواء في شكل مواطنين عاديين أو نقاد، يخلعون على أنفسهم اللقب زورا- مغرضين، يتجهون إلى التأويل المضاد وتصوير العمل الفني كأنه موجّه بالضرورة لإفساد الدين والدنيا، لخلق حالة عامة من الاستياء لدى الجمهور وإنكار القيمة المعنوية له ولو كانت تتعامل مع الواقع المباشر. يوظف دعاة التطرف المستترون ألفاظا فخمة يؤازرها دلق معلومات لا دخل لها بالسياق، لتبدو وكأنها من أهل خبرة، ومن ثم تحوز لدى المتلقي القبول المبدئي لتسليم الدماغ وشل الفكر، ما يؤهله بالضرورة لمصادرة رأيه مسبقا، ولا سيما إفساد متعة المشاهدة المجردة إن وجدت.. دعاة التطرف أولئك اعرفوهم عندما تجدونهم يتصيدون ثم يتفذلكون ويصرون ثم يكابرون.. وعليه لابد أن نعثر على عبارات مسيسة تخرج عن سياق النقد الفني الحقيقي أو حتى لا تناسب رأي مشاهد بسيط في تمثيلية.. لو نوقشوا في سطرٍ واحدٍ مما به يخرفون لتعلثموا.. من وراء شاشة الهاتف يزاولون مهمتهم المسمومة الآن بكل قوة؛ لأنه «موسم»، فاحذروهم بعد أن تعرفوهم!.

عميدة الإعلام: الدراما كشفت زيف الجماعات

طالبت عميدة كلية الإعلام بجامعة القاهرة سابقًا، د. ليلى عبدالمجيد، بزيادة إنتاج الأعمال الدرامية التي تكشف حقيقة الجماعات الإرهابية وعدم اقتصار تقديمها في وقت معين مثل شهر رمضان.

وقالت في تصريح خاص لـ«التنوير»، إنه من الضروري أن يكون هناك أعمال أكثر موجهة لفئات مختلفة من المجتمع وخاصة الشباب الذين قد يكون من السهل استقطابهم من قبل الجماعات المتطرفة.

وأشادت عميدة الإعلام السابقة بمسلسل الاختيار٣، قائلة: هذا عمل جيد جدًا واستكمال لجهود أعمال سابقة مثل مسلسل العائلة وغيرها تمت قبل ذلك، وجزئين عن جماعة الإخوان الإرهابية.

وشددت على أنه لا بد من التنسيق والتكامل مع مؤسسات التنشئة الاجتماعية حتى تقوم بدورها بالفعل. وأضافت: الدراما لها دورمهم ولكن لا ننسى أنها بين عوامل أخرى متعلقة بالتنشئة الاجتماعية ومؤسساتها المختلفة من الأسرة والمؤسسة التعليمية التي تلعب دورا مهما.

وتابعت أن الدراما شكل جذاب ويكون لها تأثير تراكمي، خاصة إذا كانت بشكل غير مباشر وقابل للتصديق وشخصيات العمل تستطيع إقناع الجمهور بما تقول.

وذكرت أن هذا دور مهم يلعبه الإعلام من أهمها الشكل الدرامي، وفي الاختيار ١ و٢ و٣ ومسلسل «العائدون» يتحدث عن القضية ذاتها والعام الماضي كان هناك مسلسلات مختلفة تتحدث عن هذه النماذج، فضلًا عن أنها تُحدث تاثيرًا جيدًا وإيجابيًّا، مع الوضع في الاعتبار أن هذا التأثير يتعلق بعوامل مجتمعية أخرى غير جيدة.

وأكدت أن الدراما لها تأثير مهم جدًا، خاصة على الشباب الذي قد يكون عرضة لأن يقع في فخ هذه الجماعات الإرهابية. وأوضحت أن الإشكالية فيمن انضموا للجماعات المتطرفة، وإذا فكروا في الخروج كما رأينا في المسلسلات يتعرضوا للقتل.

تصحيح المفاهيم

كشف غير مسبوق عن أسرار الزكاة

الأستاذ عبد الله افال

كاتب وباحث موريتاني

«الزكاة صدقة وقرض حسن»، عنوان كتاب صغير الحجم لكنه مليء بالعلم، مؤيد بالاستنباط الصحيح وبالفهم الثاقل وبالحجة البالغة؛ كتاب نافع وفق الله الكاتب الكبير الدكتور علي محمد الشرفاء الحمادي على تأليفه كاشفا بعقل موسوعي متبصر عن أسرار الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام، ذلك الركن المقرون بالصلاة في أكثر من آية.

وحدد المؤلف في مقدمة الكتاب مفهوم الزكاة في الخطاب الإلهي فأوضح أنها شكلت «هدفا محوريا وهاما هو إرساء قاعدة التكافل الاجتماعي في أجل صوره».

فقد عبر الإله سبحانه وتعالى عن الزكاة بالإنفاق في سبيل الله، وهذا الإنفاق هو نوع من الجهاد؛ «فسعي الأمة ،يضيف المؤلف، للتكافل فيما بينها يعتبر جهادا في سبيل الله وسعيا إلى مرضاته».

دلالات عظيمة

وتتبع المؤلف في المقدمة مقاصد الخطاب الإلهي في شأن الزكاة فقال» تحمل فريضة الزكاة من الدلالات العظيمة ما يعجز عن إدراكه الكثيرممن تسموا بعلماء وفقهاء؛ فالزكاة في التشريع الإلهي تحمل بين طياتها سرا من أسرار هذا الدين القيم، وبخاصة حين تكون الزكاة عاملا هاما وأداة محورية في الحفاظ على وحدة الأمة وسلامة مجتمعاتها».

الركن والفرض

وقف المؤلف بتبصر وتعقل وفهم دقيق أمام الزكاة كركن وفرض، ليؤكد «أنها سميت بهذا الاسم لأنها تزكي النفس البشرية وتطهرها، وتجعلها مطواعة للخير بعيدة عن الشر، فبأدائها يصلح المجتمع ويتآلف ويغدو متماسكا قويا كالبنيان المرصوص».

وزاد مبينا أهمية الزكاة وعلو شأنها «من هنا جعلت الزكاة ركنا وفرضا، حالها حال الصلاة والصيام وحج بيتت الله الحرام».

أمان الأوطان

سبر المؤلف في الجزء الثاني من الكتاب غور الزكاة بصفتها صمام أمان للأمة والأوطان، فقال «الزكاة في الخطاب الإلهي طوق نجاة، وقد أضاف الخطاب بعدا هاما وملمحا رئيسيا في مقاصد الزكاة ، إذ جعل من الزكاة المدخل الأمن للحفاظ على الأوطان، حين يقوم المسلمون بتأديتها على الوجه الصحيح لا المغلوط المشوه المغرض؛ وهو ما سينتج عنه، حسب المؤلف، «نهوض المجتمعات، واختفاء ظاهرتي الفقر والحرمان».

حماية روح التكافل

وفي تحليل عميق لمقاصد الزكاة، يصل المؤلف إلى أن «الله جعل الزكاة في تشريعه الإلهي، الضمانة الحامية للتكافل الاجتماعي داخل الأوطان حين أرادها فرضا وعبادة»، مضيفا «أن الزكاة اتخذت بعدا محوريا في الخطاب الإلهي، حيث اعتبرها الله شراكة بين في المال بين الغني والفقير».

وزاد «من هنا تتجلى لنا مقاصد هامة في رسالة الإسلام بكونه دينا اجتماعيا يدعو إلى الجماعية لا الفردية».

تربية وتطهير النفس

هنا يغوص المؤلف في عمق مقاصد الزكاة في الخطاب الإلهي فيقول «لا ينحصر هدف الزكاة في صلاح المجتمعات وإعمارها، بل يتجاوز هدف الزكاة ذلك لما هو أبعد، حين يكون هدفها ضمن ما حوته من أهداف عليا، تربية النفس وإعلاء وتيرة السمة الإنساني والروحي لدى المسلم، حين تكون الزكاة وقاية علاجية للجوانب الروحية، تحول دون انزلاق الإنسان في درك المادية القاتلة».

صندوق الزكاة

وبعد أن ناقش وحلل مسألة الفئات المستحقة للزكاة ومصدر الزكاة، توصل لاقتراح مؤسسة للزكاة، وقال «يجب أن يوضع لصندوق الزكاة نظام يحقق أهداف التكافل الاجتماعي، ويضمن إيصال الصدقة لمستحقيها الحقيقيين عبر إحصاء أنواع الفئات المستحقة، وتسلم لكل واحد منهم بطاقة عضوية بعد دراسة الحالة التأكد من الاستحقاق».

واقترح المؤلف بخبرته التنظيمية والإدارية الواسعة، «وضع نظام محاسبي ورقابي يضمن سلامة سير الصندوق ومعالجة أوجه القصور وتحسين الأداء».

الحض على الإنفاق

واختار المؤلف خاتمة جميلة للكتاب، سرد فيها، بشكل علمي، الآيات القرآنية التي ذم الله فيها حب المجتمع الجاهلي للمال، واستنهض فيها المسلمين على الإنفاق، ليصل في آخر الكتاب إلى «أن القرآن جعل الإنفاق في مقدمة ما يجب في المال، وذلك الإنفاق هو الزكاة التي أكد المؤلف «أنها الركن المالي الاجتماعي في الإسلام والركن الثالث بعد الشهادتين وبعد الصلاة».

وبعد، فقد وفق الله محمد علي الشرفاء الحمادي في القيام بمراجعة عميقة لركن الزكاة، وبتذكرة المسلمين بمقاصد هذا الركن، مع اقتراح هام يتعلق بتنظيم الزكاة عبر تأسيس صندوق خاص بها، وعبر وضع قاعدة بيانات مدققة لمستحقيها.

ولاشك أن من قرأ كتاب « الزكاة صدقة وقرض حسن »، لا بد أن يخرج باستخلاصات هامة منها أن الله تعالى شرع الزكاة وجعلها وقاية للمال المزكى من الضياع والتلف، وأمانا له من الآفات والكوارث، ومنها أن الزكاة شرعها الله لسد خلة المسلمين ونصرة دينه وترسيخ مبدأ التضامن والتكافل بين أفراده، وتقوية أواصر الأخوة والمحبة بين الأغنياء والفقراء، أي بين دافعي الزكاة وآخذيها لتحقيق السلم الاجتماعي والأمن الوطني الذي يشكل أغلى أمنية وأعز هدف.